إشكالية العلاقة بين الإعلام الجديد والهويات والإرهاب

(دراسة نقدية)

أ.د. قاسم عبد عوض المحبشي(*)

مقدمة:

شهد العالم المعاصر نقلة كمية ونوعية كبيرة في نسق الخطاب والممارسة الإعلامية والتواصل الاجتماعي ببعديها الرأسي والأفقي، وعلى مختلف المستويات (التقنية والاجتماعية والثقافية والسياسية والاقتصادية والأخلاقية والجمالية والفكرية والعقائدية... إلخ)؛ إذ بات الإعلام الجديد بكل وسائطه المتعددة يمارس تأثيرًا فاعلًا في صياغة الهويات وقِيَمها المحلية والعالمية، وفي سلوك الناس وصناعة الأحداث والقرارات وتشكيل الرأي العام والمواقف والاتجاهات الفردية والمجتمعية المدنية والرسمية في عالمنا الراهن الذي أضحى بفضل ثورة المعلومات والاتصال شديد التقارب والتداخل والتفاعل بعد انكماش الزمان والمكان وصيرورة العالم قرية كونية صغيرة يتشارك سكانها كل حوادثها وأحداثها وأخبارها وخيراتها وشرورها التي منها (الهويات، الطائفية، والعنف، والتطرف، والإرهاب) الذي أخذ ينمو وينتشر ويشيع في كل مكان بما يحمله من رهانات هوية مغلقة بالغة التهديد والخطر على حياة مجتمعاتنا العربية بتنوعاتها الإثنية والاجتماعية والثقافية المندمجة عبر التاريخ الطويل لصيرورة حياتها السياسية والثقافية المندمجة والمتعايشة.

ورغم أنَّ العدوان والعنف والتطرف والإرهاب من الشرور الاجتماعية التي رافقت حياة الإنسان منذ أقدم العصور دون أن تكون في يوم من الأيام بمثل ما هي

(*) نائب عميد كلية الآداب سابقًا، جامعة عدن، الجمهورية اليمنية.

عليه اليوم من سطوة وقسوة وتهديد وترويع سريع الانتشار والشيوع، وهذا هو ما أتاحه لها الإعلام الجديد للأسف الشديد، ومن رحم الإعلام الجديد ولد الإرهاب الجديد بمسمياته الجديدة (الإرهاب الرقمي، الإرهاب العالمي، الإرهاب الإلكتروني، الإرهاب الشبكي، الإرهاب الناعم، الإرهاب الافتراضي... إلخ) وفي سياق هذا الخضم الهائل من وسائط التواصل الإعلامي والاجتماعي الإلكترونية تزداد الحاجة إلى إعادة تحديد المفاهيم والرموز المستخدمة في مجال الإعلام والتواصل وتعريفها من جديد والكشف عن شبكة علاقاتها المتواشجة مع ظاهرة صعود الهويات القاتلة التي أخذت تكتسح المجتمعات العربية بموجة عاصفة من العنف والتطرف والإرهاب حروب دينية طائفية عشائرية جهوية سياسية مستعرة في كل مكان (شيعية، وسنية، ومسيحية، وعربية، وكردية، ودرزية، وزيدية، وحوثية، واثنا عشرية، وسنية، وسلفية، وعشائرية جهوية، ولغوية إثنية عربية، وقبلية مناطقية... إلخ)، ويحتدم كل هذا في فضاء ثقافي نفسي مشحون بعنف مادي ورمزي، وهستيريا عصابية جماعية عدائية شديدة التحريض والانفجار (روافض، نواصب خوارج، مجوس، صفوية، قاعدة، أنصار الشريعة، شيعة، حزب الله، أنصار الله، داعش والنصرة... إلخ).

والسؤال الملح هنا الآن هو: ما الذي جعل هذا التنوع الهوياتي في المجتمع العربي يتحول إلى شر مستطير؟ بينما هو في مجتمعات كثيرة أخرى مصدر قوة ودليل صحة وعافية، كما هي الحال في الهند والصين وروسيا وأمريكا وإثيوبيا وغيرها من الدول التي تضم طيفًا واسعًا من الهويات (ديانات، وأقليات، وأعراق، وإثنيات، ولغات، وطوائف، ومِلَل، ونِحَل، ومذاهب، وما لا يعد ولا يحصى من الجماعات الثقافية المتنوعة).

وكيف يمكننا فك الاشتباك بين مفاهيم الإعلام والهويات والإرهاب وتحدياتها الراهنة، وتحديدها وتعريفها بمختلف تجلياتها ورموزها وصورها المتعددة الأشكال والصيغ؟ إذ بات حقل التواصل والإعلام المعاصر ينطوي على سلسلة متنامية من المفاهيم والرموز الجديدة التي تحتاج إلى إعادة فحص وبحث وتدقيق، ومن ثَمَّ تحديد

وتعريف من جديد (إعلام، وأقمار، وقنوات، ومواقع، وصحف، وشبكات، ووسائط، وتواصل، وتراسل، ودردشة، وتدوين، ونشر، وفيسبوك، ووآتساب، وتويتر، ويوتيوب، وانستغرام، وهاتف جوال، وصور، ورموز، وكلام... إلخ)، وفي السياق ذاته تنطوي ظاهرة الهويات السلبية المنبعثة من قاع التاريخ للمجتمعات العربية اليوم على سلسلة من صيغ إستراتيجيات الهوية التقليدية الدينية الطائفية والجهوية والقبلية العشائرية والجهوية والعنصرية بما تحمله من طاقة عنيفة شديدة الخطر والانفجار، وبالمثل ينطوي الإرهاب المعاصر على نسق معقد من المفاهيم والصيغ (إرهاب، وعنف، وتعصب، وتزمت، وتطرف، وتكفير، وانتحار، وتفجير، وتدمير، ورعب، وترويع، وخوف، وصدمة، وأحداث، وصور، وتسامح، وتنوير... إلخ).

في هذا الإطار الفكري النظري سوف تكون مقاربتنا البحثية لإشكالية العلاقة بين الإعلام الجديد ورهانات الهوية والإرهاب من زاوية نظر منهجية عقلانية نقدية ثقافية بالاعتماد على ما هو متاح من مصادر ومراجع علمية معاصرة، وفي ضوء ما توفره التغذية الراجعة من عالم الممارسة الواقعية والتجربة المشاهدة. فما الإرهاب؟ وكيف يمكن لنا تحديد وتعريف الظاهرة الإرهابية المعاصرة؟ وما الإعلام؟ وكيف يمكن وصف وتوصيف الشبكة الإعلامية المعاصرة؟ وما الهوية؟ وكيف يمكننا فض بنياتها المغلقة؟ وكيف يمكن لنا التعرف إلى إشكالية العلاقة الشائكة بين الإعلام الجديد والهويات والإرهاب؟ وكيف يمكن تفكيك شبكة هذه العلاقة المتواشجة بين وفهم عناصرها وديناميا تها التفاعلية؟

فرضية الدراسة:

تنطلق فرضيتنا الأساسية من الاعتقاد بأن ثمة علاقة بين شبكات الإعلام والتواصل الاجتماعية المعاصرة والظاهرة الإرهابية والهويات القاتلة بمختلف صيغها العنفية المادية والرمزية؛ علاقة قابلة للقياس والدراسة وأن الحصول على فهم ممكن

للشبكات الإرهابية في العالم المعاصر لا يمكن له أن يتحقق بدون فهم وتفسير لهذه العلاقة وعناصرها المتواشجة وأن الإعلام وشبكات التواصل الاجتماعية في علاقتها بالهويات والعنف والإرهاب تنطوي على إمكانيتين: إحداهما سلبية تخدم الإرهاب ورواياته الهوياتية وتعزز شيوعه وانتشاره؛ والأخرى إيجابية بنائية إنسانية تبحث في ممكنات القواسم المشتركة للتعايش بين الناس بتعزيز قِيَم الحوار والتسامح والتواصل والاتصال الإيجابي الفاعل، وتسعى إلى محاصرة الإرهاب وتقنينه والحد منه، وهذا يعود إلى طرق استخدام الوسائط الإعلامية وأدواتها وسبل توظيفها. وبذلك يمكن تشبيه الإعلام المعاصر بالفارماكون الأفلاطوني (السم والترياق) أي إنه سلاح ذو حدين؛ فهو من جهة يؤدي وظيفة إيجابية في منح الناس القدرة على التواصل والاتصال التفاعلي وتبادل الأخبار والمعلومات بكل يسر وسرعة وكفاءة الجماعة شعورًا بالانتماء والقوة والثقة، ومن جهة أخرى يؤدي وظيفة انتشار وشيوع قِيَم العنف والتطرف وسائطها المتنوعة المتاحة لكل مَن يرغب وفي أي وقت يريد.

أهمية الدراسة:

تعود أهمية مسألة من المسائل إلى ذلك الوقيد الانفعالي المستعر بشأنها وليس هناك من مشكلة اليوم تستقطب الاهتمام وتثير أمواجًا عاتية من الأفعال والانفعالات والتفاعلات مثل ظاهرة الإعلام الجديد والهويات القاتلة والإرهاب الرقمي التي أخذت تهيمن بمخاطرها وتحدياتها على مختلف المجتمعات والدول المعاصرة مما جعلها تحظى باهتمام مضطرد في مختلف الفضاءات المحلية والإقليمية والعالمية بوصفها أزمة خطيرة وشائكة ونوعية وجديرة بالدارسة والبحث عن السبل الممكنة لفهمها وتفسيرها وحلها وتجاوزها[1].

(1) تشارلز تاونزند، الإرهاب.. مقدمة قصيرة جدًّا، ترجمة: محمد سعد طنطاوي، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، القاهرة، 2014، ط1، ص5.

وتكتسب الدراسة في موضوع الإعلام والهويات والإرهاب أهمية مزدوجة؛ إذ هي من جهة محاولة لتسليط الضوء على البنية المعقدة لشبكة العلاقة المضطردة بين الشبكات الإعلامية والشبكات الإرهابية وظواهر الهويات المحلية المتصاعدة في كل مكان والعلاقة المتبادلة التأثير والتأثر بينها، بعد أن تعذر فهم ظواهر الهويات القاتلة والإرهاب المعاصر بمعزل عن شبكة الإعلام الجديد. وهي من جهة أخرى محاولة أبستمولوجيا لتحديد وتعريف المفاهيم المتصلة بالظاهرة وإعادة تحديدها وضبطها منهجيًّا: مفاهيم الإعلام الجديد والهوية والإرهاب.

وهكذا تأتي أهمية موضوع دراستنا هذه بوصفها موضوعًا راهنًا، بما يشكله من تحدي حيوي وتهديد جدي لحياة مجتمعاتنا في حاضرها ومستقبلها، فضلًا عن حاجتنا الأبستمولوجيا للمزيد من المعرفة والفهم لهذه الظواهر الاجتماعية الشائكة التي تستحث الفكر والنظر، وتستدعي البحث والدراسة المنهجية الجادة، بما يجعلنا قادرين على فض بنياتها المغلقة ومقاربة ثيماتها الممكنة وتوقع مآلاتها المحتملة.

منهجية الدراسة:

ربما كانت المشكلة المنهجية في صميم العلوم الاجتماعية والإنسانية تكمن في ذلك الالتباس القائم بين الرائي وما يراه، بين الذات التي ترى وموضوع الرؤية؛ إذ إنه من الصعب الفصل بين الذات الراصدة والهابتوس[1] الخاص بها إذ إن الباحث في هذا الحال يكون جزءًا من الظاهرة المراد بحثها، بما تمارسه من تأثير مباشر أو غير مباشر في حياته وحياة جميع أفراد مجتمعه، «تلك الحياة التي نمنحها تسعة أعشار من وقتنا الذي نعيشه في عالمنا الواقعي المعيشي الفوري، بلا ماض ولا مستقبل، والتي تشكل

(1) مصطلح الهابتوس أو الآبيتوس (Habitus) صاغه عالم الاجتماع الفرنسي بيير بورديو، ويعني طريقة في الوجود، أو المظهر العام، أو الزي، أو حالة ذهنية أو عقلية، أو عادات ثقافية، أو تقاليد حضارية، أو باختصار: «نمط من أنماط الوجود والعيش والحضور في العالم يشبه العادة المكتسبة والتطبع».

فعلًا عصب الجسد الاجتماعي برمته (أي) الحياة بلا مزايا، التي يسميها عالم الاجتماع (جلير دوران) بـ: الجو الخانق»[1].

وسوف نقارب موضوعنا من منظور منهجي نقدي تاريخي ثقافي بهدف الإحاطة الممكنة بزواياها مشكلة علاقة الإعلام الجديد بالإرهاب القديم الجديد بوصفها ظاهرة تاريخية ثقافية قابلة للفهم والتفسير باستلهام (منهجية الممارسة الانعكاسية). وذلك بالاتساق مع منطق العلم الذي لا يُعنىٰ بماذا يفعل الناس وكيف يسلكون وماذا يقولون بحسب؟ بل، وهو الأهم، لماذا يفعلون ما يفعلونه ولماذا يقولون ما يقولونه عن أنفسهم وعن الآخرين؟ ولماذا يدركون العالم علىٰ هذا النحو؟[2].

في السياق ذاته تأتي مقاربتنا من زاوية نظر منهجية عقلانية نقدية متجردة قدر الإمكان، لا سيما ونحن وإياكم نعلم ما لهذه الظاهرة شديدة التهديد والخطورة من حضور مؤلم في القلوب والعقول بما تحمله من شحنة انفعالية وعاطفية أيديولوجية بالغة الحساسية والتأثير في حياتنا بهذا القدر أو ذاك من الشدة والحدة والانفعال؛ «إذ بقدر ما يتعاظم الجزع الذي تحدثه ظاهرة من الظواهر، يبدو معها المرء أقل قدرة علىٰ ملاحظتها بشكل صحيح والتفكير فيها بشكل موضوعي وإعداد الطرق الملائمة لوصفها ومراقبتها وتفسيرها وفهمها وتوقع مآلاتها بقدر من التجرد والموضوعية بما يؤمن حد أدنىٰ من الصدق والأمانة والنزاهة والإنصاف في معرفة الحقيقة وفهمها»[3].

---

(1) ميشيل مافزولي، تأمل العالم: الصورة والأسلوب في الحياة الاجتماعية، ترجمة: فريد الزاهي، المجلس الأعلىٰ للثقافة، القاهرة، 2005م، ط1، ص7.

(2) مجموعة من الكتاب، نظرية الثقافة، ترجمة: علي سيد الصاوي، مراجعة: الفاروق زكي يونس، سلسلة عالم المعرفة 223، الكويت، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، يوليو/تموز 1997، ص65.

(3) روجيسدوبرية، نقد العقل السياسي، ترجمة: عفيف دمشقية، دار الآداب، بيروت، 1986، ط1، ص25.

وليس لدينا سبيل آخر للتعرف إلى المشكلات التي تؤرقنا وفهم العِلَل والأمراض التي تفتك بحياتنا وبحث السبل والممكنات الناجعة لتجاوزها غير البحث والدراسة فلا عذر لنا طالما وقد قدر لنا أن نكون شاهدين على هذه الحقبة الصاخبة بالإرهاب والتطرف والحروب والعنف؛ إذ إنه من المهين أن يكون سر أزمة حياتنا والتقييم الدقيق لمصائبنا وأزماتنا وقفًا على أناس لم يولدوا بعد ولا شيء يمكن انتظاره إذ لم نبادر نحن بعمله ولا عذر لنا طالما ونحن موجودون هنا والآن.

الإطار المرجعي:

في أثناء السنوات القريبة الماضية، وبعد اشتداد وتيرة الأعمال والعمليات الإرهابية حول العالم وبالتزامن مع ثورة الإعلام والاتصالات والمعلومات (الانفوميديا) وما كان لها من أثر وتأثير بالغ في حياة المجتمعات المعاصرة، أخذت ظاهرة العلاقة بين الإعلام الجديد والإرهاب المعاصر تحظى باهتمام متزايد من الباحثين والدارسين في مختلف الدوائر الأكاديمية والثقافي والإعلامية لا سيما في حقلي العلوم الاجتماعية والإنسانية والدراسات الثقافية والنقد الثقافي؛ إذ يجد الباحث سلسلة متنامية من الكتب والدراسات والأبحاث النظرية والتطبيقية التي تسلط الضوء في مشكل الإعلام والإرهاب من زوايا نظر مختلفة نذكر منها لأغراض هذا البحث المراجع الآتية: رينيه جيرار (العنف والمقدس)، وباربرا ويتمر (الأنماط الثقافية للعنف)، وفرانك كليش (ثورة الانفوميديا: الوسائط المعلوماتية وكيف تغير عالمنا وحياتك)، وريجيسدوبريه (حياة الصورة وموتها)، وبيل جتيس وآخرون (المعلوماتية بعد الإنترنت)، وفليب سيب ودانا جانك (جيل ما بعد القاعدة: دور الإعلام الجديد في انتشار ظاهرة الإرهاب)، وغوين داير (فوبيا داعش وأخواتها)، وناعوم تشوميسكي (السيطرة على الإعلام)، وفرج فودة (الإرهاب)، وجيرلدبرونر (الفكر المتطرف: كيف يصبح الناس العاديين متعصبين)، وهيثم عبد السلام محمد

(مفهوم الإرهاب في الشريعة الإسلامية)، وعبد الرؤوف حسن (الإرهاب: أسبابه وطرق علاجه)، وعلي حرب (الإرهاب وصناعه المرشد والطاغية والمثقف)، وجان بوديار (روح الإرهاب)، وعثمان علي حسن (الإرهاب الدولي ومظاهره القانونية والسياسية في ضوء أحكام القانون الدولي العام)، وكلود يونان (التضليل الكلامي وآليات السيطرة على الرأي العام)، وهربرت أ. شيللر (المتلاعبون بالعقول)، وديفيد إنغليز وجون هويسون (مدخل إلى سوسيولوجيا الثقافة). وبيير بورديو (التلفزيون: آليات التلاعب بالعقول)، ويوهان غالتونج وجاك لنيش (التغطية الإعلامية للنزاعات: التوجهات الجديدة لإعلام السلام). وإيمان عبد الرحيم السيد الشرقاوي (جدلية العلاقة بين الإعلام الجديد والممارسات الإرهابية)، وجيوفانابورادوي (الفلسفة في زمن الإرهاب)، وميلود مراد (الإعلام الجديد.. السلطة الخامسة التي وُلدت من رحم السلطة الرابعة)، وعزير وسعاد شرناعي (البروفيل السيكولوجي للشخصية الإرهابية) وإبراهيم غرايبه (سيكولوجية الإرهاب: كيف تقود المعتقدات والعواطف إلى القسوة والكراهية؟)، وسماح عبد الصبور (أنماط استخدام الجماعات المسلحة للإرهاب الشبكي)، وهاشم محمد الزهراني، وهيثم عبدالسلام محمد (الإرهاب في الشريعة الإسلامية)، وجميل حزام الفقيه (مفهوم الإرهاب في القانون الدولي)، وتيم دان وآخرون (نظريات العلاقات الدولية: التخصص والتنوع).

وفي مشكلة الهوية ورهاناتها الإستراتيجية هناك سلسلة متزايدة من الاصدارات الفكرية في أثناء السنوات الماضية نذكر منها: أرنولد توينبي (الإسلام والغرب 1996م)، وأمين معروف (الهويات القاتلة 1999م)، وجان فرانسوا بايار (أوهام الهوية 1998م)، ودنيس كوش (مفهوم الثقافة في العلوم الاجتماعية 2007م)، وجون جوزيف (اللغة والهوية: قومية - إثنية - دينية 2007م)، وجاك دريدا (الكتابة والاختلاف 2000م)، وبول ريكور (الذات عينها كالآخر 2005م،) ورينيه جيرار

(العنف المقدس 2008م)، ومايكل كاريذرس (لماذا ينفرد الإنسان بالثقافة؟ الثقافات البشرية: نشأتها وتنوعها 1998م)، وجورج بالاندية (الأنثروبولوجيا السياسية 1998م)، وغير ذلك من دراسات وأبحاث ومقالات ومنشورات عن الهويات وصرعاتها ومخاطرها وعن الإعلام الجديد والعنف والتطرف والإرهاب.

محاور الدراسة:

سوف نقارب موضوع دراستنا في أربعة محاور رئيسة وخاتمة على النحو الآتي:

أولًا: تحديد المفاهيم وتعريفها.

ثانيًا: الإعلام الجديد (خصائصه، ووظائفه، وممكناته).

ثالثًا: إستراتيجيات الهوية ورهاناتها.

رابعًا: الإرهاب ودور وسائل الإعلام.

الخاتمة: مستخلصات الدراسة وتوصياتها.

*

أولًا- تحديد المفاهيم وتعريفها:

تحديد المفاهيم وتعريفها هو الخطوة المنهجية الأولى في الدراسات الإنسانية والاجتماعية والثقافية، ذلك كونها مفاهيم ملتبسة وغامضة وغائمة، على الدوام؛ لأن موضوعها ذاته متحرك ومتغير باستمرار؛ إذ لا توجد نواة صلبة قابلة للتحديد والتعريف تصلح جوهرًا للمفهومات التاريخية الثقافية كتلك التي نستخدمها هنا (الإعلام الجديد، الإرهاب الرقمي، الشبكات، وسائط التواصل الاجتماعي، الرأي العام)، وكل تعريف ليس إلا تعريفًا نسبيًّا ومحتملًا للمعنى لكن أشد الأخطار هو

خطر الكلمات التي تستثير في أذهاننا جواهر أو ماهيات فكرية مشخصة زائفة تملأ التاريخ سكان من الأسماء الكلية المختلقة لا وجود لها في الواقع ولعل الحاجة إلى إعادة تحديد وتعريف الكلمات التي نستعملها في دراساتنا الاجتماعية تزداد لا سيما مع مفاهيم أو مصطلحات تلقفناها من سياقات ثقافية مغايرة؛ إذ إن المفاهيم لا توجد في فلك الأفكار ومدونات اللغات حسب، بل هي كائنات تاريخية شديدة الارتباط بسياقاتها الاجتماعية الثقافية المشخصة، ولكل مفهوم مكان وزمان ولادة وسياق نمو وتجربة ممارسة وعلاقات قوة وسلطة معرفة ونظام خطاب ومدونة لغة وفضاء فكر وحساسية ثقافة وحقل تأويل وشفرة معنىٰ وأفق دلالة... إلخ. ويهمنا - لأغراض هذه الدراسة - التوقف عن ثلاثة مفاهيم أساسية: (مفهوما الإعلام والإعلام الجديد، ومفهوم الإرهاب، ومفهوم الهوية).

1- مفهوما الإعلام والإعلام الجديد:

مع اتساع خطاب الإعلام وتأثيره اتسعت عناصره ودوائر فعله وأدواته ووظائفه؛ إذ بات الناس يطلقون الكلمة (إعلام) علىٰ ظواهر وأشياء متزايدة النماء والاتساع ومتعددة الأشكال والأدوات (صحافة، إذاعة، تلفزيون، سينما، قنوات، إنترنت ومواقع ومدونات شبكات ووسائط التواصل الاجتماعي وغير ذلك). ولا خلاف في المعنىٰ اللغوي للكلمة (إعلام) من مصدر «أعلمَ، يقال: أعلَمَ يُعلِمُ إعلامًا.. وأعلمتُه بالأمر: أبلغته إياه، وأطلعته عليه، جاء في لغة العرب: استعلم لي خبر فلان وأعلمنيه حتىٰ أعلمه، واستعملني الخبر فأعلمته إياه»[1]، هنا يكون الإعلام بمعنىٰ التبليغ والإخبار والاطلاع والإشهار والبيان. غير أنَّ ما يهمنا هو الدلالة المفهومية للإعلام وسياقات المعنىٰ؛ إذ لا يوجد اتفاق بين الدارسين بشأن تعريف مصطلح الإعلام بشكل عام،

(1) ابن منظور، لسان العرب، الجزء 2، القاهرة، دار المعارف، 1960، ط 1، ص1748.

والإعلام الجديد تحديدًا، بل هناك تعريفات كثيرة ومختلفة بحسب زاوية الرؤية التي ينظرون فيها إلى ظاهرة الإعلام الجديد قبل أن «تتبلور خصائصه وملامحه وأبعاده بعد»[1]. ولأغراض هذه الدراسة سوف نحاول في مقاربة التعريف أن نميِّز بين مصطلحي «الإعلام التقليدي» و«الإعلام الجديد»؛ إذ نقصد بالإعلام التقليدي مجموع وسائل الإعلام والاتصال والتعبير التقليدية المقروءة والمسموعة والمشاهدة التي سادت العصور الحديثة من صحافة وإذاعة وتلفزيون وسينما[2]، فقد جاء في الموسوعة الحرة: «الإعلام هو مصطلح يطلق على أية وسيلة أو تقنية أو منظمة أو مؤسسة تجارية أو أخرى غير ربحية، عامة أو خاصة، رسمية أو غير رسمية، مهمتها نشر الأخبار ونقلها»[3]. والإعلام الجديد: مفهوم يطلق على الظاهرة الإعلامية المعاصرة بتنويعات متعددة منها: (الإعلام البديل، والإعلام الاجتماعي، وصحافة المواطن، ومواقع التواصل الاجتماعي، والإعلام الرقمي، والإعلام التفاعلي، وإعلام المعلومات، وإعلام الوسائط المتعددة، والإعلام الشبكي الحي على خطوط الاتصال (Online Media)، والإعلام السيبراني (Cyber Media)، والإعلام التشعيبي (Hyper Media). والإعلام الجديد هو التعبير الجامع لكل من (الكمبيوتر والشبكات والوسائط المتعددة). ومن تعريفات الإعلام الجديد يمكن الإشارة إلى بعضها؛ إذ عرفه «قاموس التكنولوجيا الرفيعة بأنه: «اندماج الكومبيوتر وشبكات الكومبيوتر والوسائط المتعددة»، ويعرفه قاموس الإنترنت الموجز بأنه يشير إلى: «أجهزة الإعلام الرقمية عمومًا، أو صناعة الصحافة على الإنترنت». وبحسب موسوعة Webopedia فإن تعبير

(1) ميلود مراد، الإعلام الجديد.. السلطة الخامسة التي ولدت من رحم السلطة الرابعة، شبكة ضياء، 3/7/ 2016.

(2) فهد عبد الرحمٰن الشميري، التربية الإعلامية: كيف نتعامل مع الإعلام، الكتاب الأول في مجاله، النت، جوجل.

(3) ويكيبيديا، الموسوعة الحرة، مفهوم الإعلام.

الإعلام الجديد يشير إلى: «العديد من الأشكال المستحدثة من نظم الاتصال الإلكتروني التي أصبحت ممكنة بفضل الكومبيوتر»[1].

وإذا كان علينا استخلاص تعريف إجرائي لمفهوم الإعلام الجديد بغرض تمييزه عن الإعلام القديم، فيمكننا القول: إن الإعلام الجديد هو مجموع تكنولوجيا الاتصالات والمعلومات التي أتاحت وسائطها المتنوعة لجميع الأفراد والجماعات والمؤسسات القدر على التواصل والاتصال التفاعلي الحر في فضاء تواصلي عالمي بدون قيود ولا حدود.

2- الهوية Identity (إشكالية المصطلح وسياقات المعنى):

الهوية مصطلح ما زال محاطًا بظلالٍ كثيفةٍ وسوءِ فهمٍ شديد وذلك بسبب الطبيعة الشائكة للظاهرة التي يحاول وصفها، فضلا عن الخلط في الاستعمالات المختلفة للكلمة التي أخذ الناس يطلقونها على أشياء كثيرة بما تنطوي عليه من عناصر وأنساق وأبعاد متشابكة ومتعددة الصيغ والمستويات والدلالات. وقد عبر كثير من الدارسين عن ذلك بطرائق وصيغ عديدة، فهذا جان فرانسو بيار يرى في كتابه (أوهام الهوية) «أنه ليس هناك من دواعي قلق معاصر إلا وتثيره قضية أوهام الهوية»[2]. ويذهب أمين معلوف في كتابه (الهويات القاتلة) إلى: «أن التصدي لمفهوم الهوية يتطلب كفاءة عالية، وجسارة فائقة، وحذر شديد، لما ينطوي عليه من طبيعة زائفة وخادعة؛ إذ إنه يشبه الأصدقاء المزيفين الذين يبدون، في ظاهر الأمر، أكثر شفافية وبساطة، بينما هم

(1) عباس صادق، الإعلام الجديد - مداخل نظرية لفهم خصائص الإعلام الجديد، دار الشروق للنشر والتوزيع، الأردن، عمان، 2011، ط1، ص7.

(2) جان فرانسوا بايار، أوهام الهوية، ترجمة: حليم طوماس، دار العالم الثالث، القاهرة، 1998، ط1، ص8.

في الواقع أكثر مكر وخيانة»[1]، وهذا ما سماه الفرنسي كلود دوبار «أزمة الهويات»؛ «إذ بات مصطلح «هوية» نموذجًا للكلمة المنحوتة التي يعكس عليها كل منا معتقداته ومزاجاته ومواقفه»[2]. بينما يذهب دنيس كوش إلى القول: «إذا كانت الهوية عسيرة على الوصف والتعريف فذلك بسبب خاصيتها الدينامية المتعددة الأبعاد ومرونتها المفرطة بما يجعلها قابلة للتبدل وإعادة الصياغة بل وللتلاعب»[3]. وهذا ما حدى ببعض الكتاب إلى استعمال اصطلاح «إستراتيجيات الهوية» بدلًا من اصطلاح «الهوية» بصيغتها المجردة. ولعل الإشكال الذي يتصل بمفهوم الهوية لا يكمن في الأسماء والمسميات والتعريفات والصفات ذاتها وبذاتها، بل في ما تعنيه للفاعلين الاجتماعيين في السياقات الاجتماعية والثقافية المشخصة (البسيطة والمركبة، الميكروالماكروسوسيولوجيا)، وربما كان جون جوزيف يشير إلى هذا حينما كتب «إن مصطلح الهوية لا يحظى أبدًا بقبول عام في البحث الراهن... فهذه ايفاينتش 1998 تذهب إلى أنه على الرغم من أن الهوية هي: الكلمة العادية التي ترمز إلى معنى ماهية الناس فإن مشكلتها أنها لا تحمل معها تضمينات بشكل أوتوماتيكي لبناء وتقييد اجتماعيين»[4].

ومن أجل مقاربة معاني الهوية وفهمها حاول الفلاسفة التمييز بين الكائنات وتصنيفها في مبدئيين: مبدأ الهوية ومبدأ الوجود، فمن مبدأ الهوية نتعرف إلى ماهية الكائن وهويته الجوهرية (النوع والجنس والصفات) هذا معدن وذاك حجر هذا كلب

(1) أمين معروف، الهويات القاتلة، نبيل محسن، دار ورد للطباعة، دمشق، 1999، ص413.
(2) كلود دوبار، أزمة الهويات، مجلة إضافات - المجلة العربية لعلم الاجتماع، العدد (7)، الجمعية العربية لعلم الاجتماع، رئيس تحريرها: سالي حنفي، صيف 2009، ص36.
(3) دنيس كوش، مفهوم الثقافة في العلوم الاجتماعية، 2007.
(4) جون جوزيف، اللغة والهوية: قومية - إثنية - دينية، سلسلة عالم المعرفة الكويتية، العدد (342)، ص27، أغسطس 2007.

وذاك جمل... إلخ، ومن هنا يمكن تصنيف جميع الكائنات غير العاقلة بعدها كائنات ماهوية وجدت بماهية وهوية مكتملة قلما تتغير مع الزمن، في حين أن مبدأ الوجود يقتصر على وجود الكائن الإنساني؛ إذ إن الإنسان هو الكائن الوحيد الذي ولد ناقصًا، أي غير منجز الهوية؛ إذ إن وجوده يسبق ماهيته، فهو وجود لذاته ومن أجل ذاته وليس وجودًا في ذاته وفي متناول اليد مثله مثل وجود الأشياء، وهذا هو مبعث حضور مشكلة الهوية الطاغي في عالم الإنسان؛ إذ توجد الحرية والعقل واللغة والحاجات والمصالح والرغبات والأحلام والأوهام والتنافس والصراع... إلخ[1].

ويميز الفيلسوف الفرنسي بول ريكور بين معنيين للهوية: فـ«الهوية بمعنى الشيء عينه (Idem)، والهوية المطابقة (Sameness) بالإنجليزية بمعنى الهوية المتطابقة بإحكام، أو المتماثلة إلى حدِّ التطابق التام أو التشابه المطلق مع الذات في جميع الأزمنة وجميع الأحوال»[2]. وربما كان الفيلسوف اليوناني بارمندس هو أول من وضع هذه الصيغة بعبارته الشهيرة (الوجود موجود والعدم غير موجود). ثم جاء أرسطو فصاغها منطقيا في قوانين الهوية الثلاثة[3]. وهذا هو التصور الذي شاع في الفلسفة العربية الإسلامية المتأثرة بأرسطو. ويذهب الجرجاني في «التعريفات» إلى أن الهوية هي «الحقيقة المطلقة المشتملة على الحقائق اشتمال النواة على الشجرة في الغيب المطلق» و(البذرة تحمل في جوفها شكل الشجرة وطعم الفاكهة) حسب هيجل. أما عالم الاجتماع البريطاني أنتوني جدنز فيذهب إلى أن الهوية Identity هي «السمات المميزة

(1) قاسم المحبشي، الوجود والماهية عند جان بول سارتر، رسالة ماجستير، قسم الفلسفة، جامعة عدن، إشراف: أحمد نسيم برقاوي، 1995، ص150.

(2) بول ريكور، الذات عينها كالآخر، ترجمة: جورج ريتاني، بيروت، مركز دراسات الوحدة العربية، المنظمة العربية للترجمة، 2005، ص45.

(3) جون ليشته، خمسون مفكرًا أساسيًّا معاصرًا من البنيوية إلى ما بعد البنيوية، ترجمة: فاتن البستاني، مركز دراسات الوحدة العربية، 2008، ص221.

لطابع الفرد أو الجماعة المتصلة بماهيتهم وبالمعاني ذات الدلالة العميقة لوجودهم»[1]. ويذهب مايك كرانج إلى القول: «إنه يمكن تحديد الهوية من نقيض ما نحن عليه بقدر ما يمكننا تحديدها من طريق مَن نحن... وكثيرًا ما تتدخل الجغرافيا هنا لأن الجماعات في صيغة (نحن - هم) هي في أحوال كثيرة محددة إقليميًّا»[2]. ولعل هذا التعريف يستند إلى الفكرة الفلسفية التي مفادها (أن كل تعريف تحديد وكل تحديد سلب). ويرى روجيسدوبرية أن «هوية الجماعة هي إيديولوجيتها»، وحيثما تختلج «نحن» فستكون «إيديولوجيا»، وحينما يتعذر قول «نحن» لا تكون «إيديولوجية»؛ لأن ولادة إيديولوجية معناه ولادة جماعة[3]. وتلك الصيغة هي التي وجدت رواجها في فكر ما بعد الحداثة الذي ينفي وجود هوية ذات مستقلة قبل وجود محمولها، فلا تتأسس هوية الذات إلا في علاقتها بالآخر، وهكذا تتحدد المفاهيم بوساطة ما لا تكونه، بل إن الفيلسوف الأمريكي ريتشارد رورتي وصفها بـ«النقلة الحاسمة في إعادة تفسير العلاقة بين الذات والموضوع. .. لا يوجد أساس أو جوهر أو محل وراء الصفات أو المحمولات... بل توجد «الهويات» فقط كما يجري تمثيلها في شكل مادي ملموس»[4]. ويصعب فهم الهويات الجماعاتية بمختلف صيغها الذاتوية وتفسير نشوئها وتبلورها (أقليات، طوائف، مذاهب، مِلَل، نِحَل... إلخ) بمعزل عن شبكة علاقات الهيمنة بين (الأنا والآخر الـ نحن والـ هم)؛ إذ إن كل شيء هنا مرهون بالكيفية التي نتمثل فيها صورة الآخر؛ إذ «يرتبط سؤال الآخر ارتباطًا تكامليًّا بسؤال الهوية»؛ فالهويات تتكون

---

(1) أنتوني جندز، علم الاجتماع، ترجمة: فايز الصياغ، مركز دراسات الوحدة العربية، 2005، ط1.

(2) ماكيل كرانغ، الجغرافيا الثقافية: أهمية الجغرافيا في تفسير الظواهر الإنسانية، عالم المعرفة الكويتية، عدد (317)، يوليو 2005، ص145.

(3) روجيس دوبريه، نقد العقل السياسي، دار الآداب، 1986، ص188-222.

(4) ديفيد هوكس، الأيديولوجية، ترجمة: إبراهيم فتحي، القاهرة، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة 2000، ص45.

نتيجة لعبة الاختلاف... والآخر هو ما يروغ من شعورنا وتعرفنا، وهو ما يكون خارج «ثقافتنا» وجماعتنا. فهو ألا ذات وألا نحن؛ إذ كيف نتوافق مع واقعية آخر الآخرية مع الغيرية والغريب والمجهول؟ كيف نهتم بالتعرف المزعج فعلًا إلى أهمية الآخر لـ «نحن»؟[1]؛ فالاختلاف والغيرية هو أصل وأساس الهوية. ويذهب الفيلسوف جيل دولوز إلى أن «كل الهويات ليست بأكثر من اختلافات مصطنعة بوصفها «أثرًا» بصريًا عن لعبة أعمق هي لعبة الاختلاف»[2]. بين الذوات المتفاعلة، أنا - أنت، الأنا - الآخر، نحن - أنتم، نحن - هم... إلخ، فمَن الآخر؟

الآخر Other: مصطلح يدل على ما يفيد الفقدان أو الفجوة أو النقص في عمليات الذات، يجعل الذات عاجزة عن تحقيق ذاتها بالاتجاه نحو داخليتها، وهذا ما ألمح إليه علي سعد الدين وطفه، بقوله: «إن الآخر في أكثر التجليات النفسية حضورًا يأخذ صورة كينونة إنسانية جامعة لمعاني التحدي والخوف والخطر؛ لأنه يناهض رغبات الأنا وإرادتها وحرياتها في الإشباع، وهذا التصور السلبي للآخر يضفي على العلاقة التفاعلية بين الذوات الاجتماعية الفاعلة صبغة صراعية دائمة». وهذا هو فحوى صرخة سارتر (الجحيم هو الآخرون). نخلص من ما تقدم إلى أن الهوية الجمعية هي صيغة علائقية إجماعية ثقافية تمنح الناس إحساسًا بالانتماء والتماهي مع جماعة ما بوصفها ذاتًا جمعية (نحن) تميزهم عن الجماعات الأخرى، فضلًا عن كونها راية إيديولوجية تبرر وتشرعن وجودهم وتحدد أنماط نظرتهم إلى ذاتهم وإلى الآخرين وإلى التاريخ والحياة والعالم.

---

(1) طوني بينيت، مفاتيح اصطلاحية جديدة: معجم مصطلحات الثقافة والمجتمع، ترجمة: سعيد الغانمي، مركز دراسات الوحدة العربية، 2010، ص41.

(2) جيل دولوز، الاختلاف والتكرار، ترجمة: وفاء شعبان، مركز دراسات الوحدة العربية، أبريل 2009، ص38.

أما رهانات الهوية أو إستراتيجيات الهويات فهو مصطلح نقدي حديث شاع في فكر ما بعد الحداثة بفضل عدد من النقاد الذين استعملوه بغرض دحض الرأي الذي يصور الهويات الجمعية بوصفها كيانات جوهرية طبيعية ثابتة، أو (هويات أصلية) ويأتي في طليعة هؤلاء، الناقد التفكيكي جاك دريدا، الذي قوّض منطق الهوية الذاتية المكتفية بذاتها لدىٰ أرسطو، وكشف عن تناقضاته الفجة، فالطبيعة المكتفية ذاتيًّا، بحسب دريدا، هي في الأصل ناقصة. والنقص، في الواقع، خطر علىٰ الاكتفاء الذاتي للطبيعة، أي هويتها أو حضورها الذاتي، والمفارقة أنه لا يمكن المحافظة علىٰ الاكتفاء الذاتي إلا في حالة إضافة النقص. ولكن وفقًا لمنطق الهوية؛ إذا كانت الطبيعة بحاجة إلىٰ إضافة فلا يمكن أن تكون مكتفية ذاتيًّا (متماثلة مع نفسها)؛ لأن الاكتفاء الذاتي والنقص نقيضان، وأحدهما فقط يمكن أن يكون أساس الهوية، لكن ليس كلاهما، إذا أردنا أن نتجنب التناقض. إن عدم نقاء أي هوية، وتقويض حضورها الذاتي هو أمر لا مفر منه في الواقع؛ ذلك أنه بصورة أعم، كل أصل «بسيط» ظاهريًّا فيه جانب من «لا-أصل» (Non-Origin)، وذلك في شرط إمكانيته بالذات. ويحتاج البشر إلىٰ وساطة الوعي أو إلىٰ مرآة اللغة، لكي يعرفوا أنفسهم والعالم، لكن هذه الوساطة أو المرآة، هي شوائبٌ، وغالبًا ما تم إقصاؤها عن عملية المعرفة وقد ذهب جان فرانسوا بايار، في كتابه (أوهام الهوية)، إلىٰ أن ليس هناك سوىٰ إستراتيجيات للهوية[1]. ومن المنظور الإستراتيجي، فإن الهوية تبدو وسيلة لبلوغ غاية ما. كما يشير مفهوم الإستراتيجيات إلىٰ أن الفرد، بما هو فاعل اجتماعي، له نوع من هامش المناورة، إنه يستعمل موارده الهوياتية بصفة إستراتيجية، ووفقًا لتقديره الوضعية. وباعتبار الهوية رهان صراع اجتماعي حول التسمية والتصنيف والتعريف حسب عالم الاجتماع بيير بورديو، «فإن رهان صراع الهوية يستهدف إعادة إنتاج علاقات الهيمنة أو قلبها؛ حيث يتم بناء الهوية من خلال إستراتيجيات الفاعلين الاجتماعيين... والشعور الجماعي

(1) جان فرانسوا بايار، أوهام الهوية، ترجمة: حليم طوماس، دار العالم الثالث، 1998.

بتحمل الظلم الجماعي يولد لدى أعضاء مجموعة تقع ضحية تمييز شعورًا قويًا بالانتماء إلى الجماعة التي يكتسب التماهي معها قوة مطالبة أكبر»؛ إذ إن الأفراد والجماعات يستثمرون كينونتهم الاجتماعية كلها في صراعات التصنيف، وكل ما يحدد الهوية التي يكونونها عن أنفسهم، وكل ما لا يمكن التفكير فيه والذي من خلاله يتشكلون كـ: «نحن» في مقابل «هم» و«الآخرون»، ويتمسكون بهذا الذي لا يمكن التفكير فيه عن طريق التحام شبه جسدي. وهو ما يفسر القوة التعبوية الاستثنائية لكل ما يمس الهوية. وهكذا تتصل إستراتيجية الهوية بعلاقات الهيمنة بوصفها منظومة العلاقات التفاعلية بين الفاعلين الاجتماعيين والسياسيين أفرادًا وجماعات شعوبًا ودول وحضارات في مختلف مجالات الحياة الواقعية والرمزية بوصفها علاقات قوة وهيمنة وسلطة ونفوذ تستمد شرعيتها من فرض كونها أمرًا واقعًا ومسلمة بديهية لا تقبل التساؤل والتشكيك.

3- الإرهاب والإرهاب الجديد:

ليس هناك مفهوم آخر استقطب الاهتمام وأثار أمواجًا عاتية من الأفعال وردات الأفعال والقيل والقال أكثر من مفهوم الإرهاب بما يكتنفه من غموض وتشويش والتباس لا مثيل له في مختلف الدوائر الرسمية والأكاديمية والثقافية والإعلامية[1]،

(1) لا يمكن أن نحصر مفهوم الإرهاب في الحركات الجهادية العنيفة، وإنما هو مفهوم أوسع يحتاج إلى تحديد موضوعي وتعريفي جامع بين الممارسات الراهنة لسجالات التاريخ، فملف الإرهاب الأمريكي حافل بإبادة الهنود، والحروب الخارجية في فيتنام وأفغانستان وغيرهما، والإمبراطوريات الاستعمارية القديمة بدورها مارست الإرهاب على مستعمراتها، وإسرائيل تمارس إرهابًا على الفلسطينيين العزّل، والقوى الرأسمالية تمارس إرهابًا على الدول الفقيرة والمتخلفة، والمفهوم أوسع من مجرد حركات تظهر في مناطق محدودة ثم سرعان ما تختفي حين تفتقد الدعم وتذرها وسائل العالم دون تغطية وتضخيم. عمار بن حموده، داعش قداسة العنف وأسلمة الإرهاب، موقع مؤمنون بلا حدود، 2016/8/2.

فهذا شارلز تاونزند، في كتابه (الإرهاب: مقدمة قصيرة جدًّا) كتب: « يقض الإرهاب مضاجع الناس، ويفعل ذلك عمدًا؛ فهذا هو الهدف منه، ولهذا السبب شغل جانبًا كبيرًا من اهتمامنا في السنوات الأولى من القرن الحادي والعشرين. فبينما يتخذ الشعور بعدم الأمان صورًا كثيرة، فلا شيء آخر يتلاعب بشعورنا بالخطر أكثر من الإرهاب... فليس من السهل مطلقًا فهم الإرهاب، لا سيما في أعقاب هجوم إرهابي. عندما يشعر المجتمع بالتهديد»[1]؛ إذ يستهل أحد استطلاعات الرأي المعروفة موضوع التعريف بفصل كامل، ويدرج استطلاع آخر ما يربو على مائة تعريف للإرهاب، قبل أن يخلص في نهاية الاستطلاع إلى صعوبة البحث عن تعريف ملائم للإرهاب بدون انحياز أيديولوجي[2]. ورغم ذلك لم تكف الجهود في البحث عن التعريف الأنسب للإرهاب المفهوم والسلوك فما هو الإرهاب؟ وكيف تم تعريفه؟ وكيف نفهمه؟.

مصطلح الإرهاب بالمعنى المعاصر هو ترجمة حرفية للكلمة الفرنسية (Terrorisme)، التي استحدثت في أثناء الثورة الفرنسية. «بل وقد كان أول تعريف لكلمة الإرهاب في القاموس الفرنسي بمعنى (نظام، أو حكم الترويع) هو الذي صاغته الأكاديمية الفرنسية»[3].

والإرهاب هو نمط من أنماط العنف الاجتماعي والفردي المادي والرمزي. والإرهاب في اللغة: «من الفعل رهب، يرهب، رهبه وهو الخوف، والفزع» بمعنى الترهيب والترويع والتخويف وغير ذلك[4].

---

(1) تشارلز تاو نزند، الإرهاب: مقدمة قصيرة جدًّا، ترجمة: محمد سعد طنطاوي، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، القاهرة، 2014، ط1، ص10.

(2) غوين داير، فوبيا داعش وأخواتها، ترجمة: رامي طوقان، الدار العربية للعلوم، بيروت 2015، ط1، ص50.

(3) رشارلز تاونزند، الإرهاب، المعطيات السابقة، ص41.

(4) مجلة البحوث الإسلامية، الفرق بين الجهاد والإرهاب، رجب 1433هـ، النت.

و«الإرهاب... هو نمط من أنماط استخدام القوة في الصراع السياسي، وهو استخدام قد تمارسه الجماعات السياسية أو الحكومات من أجل التأثير على القرار السياسي لغيرها»[1].

وتعرفه محكمة الجنايات الدولية بأنه: «استخدام القوة أو التهديد بها من أجل إحداث تغيير سياسي، أو هو القتل المتعمَّد والمنظم للمدنيين أو تهديدهم به لخلق جو من الرعب والإهانة للأشخاص الأبرياء من أجل كسب سياسي، أو هو الاستخدام غير القانوني للعنف ضد الأشخاص والممتلكات لإجبار المدنيين أو حكومتهم للإذعان لأهداف سياسية، أو هو باختصار، استخدام غير شرعي ولا مبرَّر للقوة ضد المدنيين الأبرياء من أجل تحقيق أهداف سياسية»[2].

وهناك مَن يعرفه على أنه: «كل استخدام أو تهديد باستخدام عنف غير مشروع يتسبب في حالة من الخوف أو الرعب بقصد تحقيق تأثير أو السيطرة على فرد أو مجموعة من الأفراد أو حتى المجتمع بأسره وصولًا إلى هدف معين يسعى الفاعل إلى تحقيقه»[3].

في حين يرى البعض أنه: «أحد مظاهر العنف الاجتماعي وظاهرة مركَّبة ومتعددة الأبعاد يختلط فيها العنصر النسبي بالعناصر الاجتماعية والمادية والثقافية والسياسية والتاريخية، فهو التهديد باستخدام منهج منظم لكل ما من شأنه الإضرار البدني والفكري والنفسي والفسيولوجي والاجتماعي لبعض الأفراد أو لجسم المجتمع»[4].

---

(1) مختار شعيب، الإرهاب، مركز الدراسات السياسية والإستراتيجية بالأهرام، موسوعة الشباب السياسية، القاهرة، العدد (14)، 2001، ص17.

(2) محمود بسيوني، الإرهاب في القانون الدولي، النت.

(3) عبد الناصر حرين، النظام السياسي الإرهابي الإسرائيلي - دراسة مقارنة، القاهرة، مكتبة مدبولي، ط1، 1997، ص26.

(4) يحيى عبد الحميد إبراهيم عبد العال، التنمية بين عقيدة الانتماء وعقدة التطرف، المحروسة للنشر، القاهرة، 1998، ص61-62.

وفي تعريف آخر: «الإرهاب نوع معين من الجرائم التي تقع بطريقة العنف أو التهديد، ويستهدف مرتكبوها إرغام السلطات أو الهيئات ذات الشأن على أداء عمل أو الامتناع عن عمل سواء كان ذلك العمل يحقق مصلحة سياسية أو قومية أو محلية أو خاصة، ويتمثل العنف في الفتك بالأبرياء أو تدمير ممتلكاتهم أو التهديد بذلك أو تدمير المؤسسات والمرافق العامة. ووسائل النقل العام، أو التهديد بذلك بهدف إحداث ذعر للجماهير وصولا إلى زلزلة النظام الحاكم»[1].

وربما كانت المشكلة التي تواجهنا اليوم مع الإرهاب المفهوم والسياق هي تلك المتصلة بأنماط الإرهاب الجديد التي شاعت مع ازدهار الإعلام الجديد، في ما يسمى بالإرهاب الرقمي، أو الشبكي، أو الافتراضي أو الإلكتروني... إلخ؛ إذ جاء في الموسوعة الحرة (ويكيبيديا): «إن الإرهاب الإلكتروني هو استخدام التقنيات الرقمية لإخافة وإخضاع الآخرين. أو هو القيام بمهاجمة نظم المعلومات على خلفية دوافع سياسية أو عرقية أو دينية»[2].

ومعنى الإرهاب الجديد هنا لا يقتصر على الإرهاب الإلكتروني وجرائم الإنترنت كما قد يفهم بل يعني أيضًا استخدام الإرهاب التقليدي لممكنات ووسائط الإعلام الجديد لترويج وتخطيط وتنفيذ مشاريعه الإرهابية التقليدية والجديدة بطرق ووسائل وأساليب وأدوات جديدة وغير مألوفة في كل مكان من مواطن الإنسان، كما سوف نرى آنفًا؛ إذ يمكن تمييز الإرهاب الإلكتروني عن غيره من أنواع الإرهاب التقليدي بالطريقة العصرية المتمثلة في استخدام الموارد المعلوماتية والوسائل الإلكترونية التي جلبتها حضارة التقنية في عصر المعلومات؛ لذا فإن الأنظمة الإلكترونية والبنية

(1) محمد فتحي عيد، الأمان في مصر، القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، سلسلة مصر الحضارة، ط2، 1986، ص30.

(2) ويكبيديا، الموسوعة الحرة، مفهوم الإرهاب الرقمي.

التحتية المعلوماتية هي هدف الإرهابيين[1]. وهكذا يمكن القول إنه مع الإعلام الجديد ظهر الإرهاب الجديد، إرهاب أخطبوطي عنكبوتي متعدد الشبكات والأبعاد والأدوات والفاعلين والأفعال،إذ يعد الإرهاب الإلكتروني من أخطر أنواع الإرهاب في العصر الحاضر، نظرًا لاتساع نطاق استخدام التكنولوجيا الحديثة في العالم، وهو الأمر الذي دعا 30 دولة إلى التوقيع على «الاتفاقية الدولية الأولى لمكافحة الإجرام عبر الإنترنت» في بودابست، عام 2001م، والذي يُعد وبحق من أخطر أنواع الجرائم التي ترتكب عبر شبكة الإنترنت، ويتضح هذا جليًّا من خلال النظر إلى فداحة الخسائر التي يمكن أن تسببها عملية ناجحة واحدة تندرج تحت مفهومه[2].

من كل ما تقدم نخلص إلى أن ما يميز الإرهاب عن غيره من أشكال وصور العنف الأخرى هو أن الإرهاب يتضمن أفعالًا ترتكب بطريقة دراماتيكية لجذب الانتباه العام وخلق مناخ من الرعب يتجاوز الضحايا الذين تعرضوا له، وتكون هوية الضحايا ثانوية أو غير مهمة للإرهابيين؛ لأن عنفهم يتجه إلى الناس الذين يشاهدون ذلك العنف. والتفريق بين الضحايا الواقعيين والجمهور المستهدف هو المعلم الرئيس للإرهاب الذي يميزه عن الأشكال الأخرى من النزاع المسلح؛ فالإرهاب مسرح، وفي ذلك يختلف الإرهاب عن القتل الجماعي أو الإبادة الجماعية؛ فالقتل أو الإبادة تهدف إلى قتل جماعة بالكامل، ولكن الإرهاب يقتل عددًا من الناس بهدف التأثير على جمهور أوسع، وهنا يمكن القبض على جوهر المعضلة بين الإرهاب الجديد بحسب جان بودريار في كتابه روح الإرهاب. والإعلام الجديد.

---

(1) سماح عبد الصبور، الإرهاب الرقمي، أنماط استخدام الجماعات المسلحة للإرهاب الشبكي، دورية (اتجاهات الأحداث) الصادرة عن مركز المستقبل، العدد الثاني، سبتمبر 2014، ص3.

(2) الإرهاب الإلكتروني مفهومه ووسائل مكافحته، (بدون اسم الكاتب) موقع شبكة ضياء للمؤتمرات، 16نوفمبر 2015.

ثانيًا- الإعلام الجديد (خصائصه، ووظائفه،وممكناته):

يعد الإعلام الجديد أحد مظاهر العولمة وأبرز مقاوماتها الراهنة إذ بات العالم شديد التداخل والتواصل والتفاعل في فضاء إعلامي تواصلي تفاعلي مستمر أي إنه بفعل ثورة الاتصالات والمعلومات وانتقال الصوت والصورة عبر موجات الأثير صار العالم مجالًا للرؤية ومكانًا مكشوفًا للجميع، وبذلك تحطمت كل الحواجز والحدود التي كانت في الماضي القريب تفصل بين القارات والشعوب والدول واللغات والثقافات[1]. وفي عالم شديد الانكماش والترابط لا شك أن للإعلام الجديد ووسائطه المتنوعة دورًا حيويًّا فيه عن طريق تعميم المعرفة والتوعية والتنوير وتكوين ونشر المعلومات وتشكيل المواقف والاتجاهات وخلق الرغبات والحاجات وتلبيتها.

وإذا كان أبسط تعريف للعولمة هو: «العالم بعد انكماش الزمان والمكان»؛ فان المؤكد أن الإعلام الجديد كان له الدور المحور في بلوغ هذا الانكماش؛ إذ إن التكنولوجيا الرقمية لم تحدث فقط تحولًا في العالم، بل تمكنت من خلق عالمها المجازي أيضًا فأقمار الإرسال التلفزيوني الصناعية اليوم مكنت الناس على طرفي

(1) «غوغل» يفهم اليوم العالم، وسكانه أكثر من أي فرد أو جماعة أو حزب أو دولة أو حتى إمبراطورية، لأنه يضع يده على ثروة من المعلومات والكتب والمقالات والصحف والمواقع والفيديوهات والصور والخرائط وتجارة العالم. وأكثر من هذا، يعرف عادات مليار ونصف المليار من سكان الأرض الذين يستعملون محركه، للبحث عمّا يهمهم في كل جوانب حياتهم الثقافية والاستهلاكية والجنسية والطبية والإعلامية والسياسية والاقتصادية والتكنولوجية... «جوجل» هو الوجه الجديد للقوة الناعمة Soft Power التي تغزو عقول العالم من خلال شبكة النت التي أصبحت أهم من الخبز لدى الشبان، ومن خلال الأغاني والأفلام والألعاب والمعلومات والترجمة، ومواقع التواصل الاجتماعي التي أضحت عالمًا يختلط فيه الواقعي مع الافتراضي، إلى درجة أن الواقع هو الذي صار افتراضيًّا والافتراضي هو الواقعي. عائشة لصلج، العنف الرمزي عبر الشبكات الاجتماعية الافتراضية: قراءة في بعض صور العنف عبر الفيسبوك، موقع مؤمنون بلا حدود، 2016/7/28.

الكوكب من التعرض بانتظام لطائفة واسعة من المحفزات الثقافية والأخبار والمعلومات والصور وغير ذلك من تجليات الميديا التي أضحت تؤثر فعليًّا في أنماط وحياة وتطلعات كل الأمم وبهذا المعنى ندرك أهمية ثورة الإعلام الجديد في الاتصالات والمعلومات وتجليها الأبرز «الإنترنت» الذي يفضي على المدى البعيد إلى توسيع أفق الإعلام الجديد والمعرفة الإنسانية وتحريرها وتبادلها وتعميق الروابط الثقافية بين البشر، ويسعى إلى تكوين المجتمع العالمي السيبرانيتي. فما الممكنات التي ينطوي عليها الإعلام الجديد وكيف يمكن توظيفها والاستفادة منها في السيطرة على الإرهاب ومقاومته وتقنينه وتخفيف أضراره على طريق تجفيف منابعه؟

يجدر بنا التأكيد على الخاصية المحايدة للتقنية؛ إذ إن التكنولوجيا التي غيرت العالم هي ثمرة من ثمار تقدم العلم والحضارة الإنسانية، والمسألة الجوهرية تتعلق في كيفية توظيف واستخدام الإنسان لهذه الأدوات والوسائل التقنية المتاحة للخير أو للشر. مثلًا هناك فرق بين استخدم الفأس لقطع الأشجار واستخدامه لتحطيم رأس إنسان! والموسيقى مثلًا يمكنها أن تدق طبول الحرب كما يمكنها أن تعزف أنشودة السلام، وهكذا يمكن قياس الأمر على مختلف المجلات التقنية الأخرى بما في ذلك تقنية الإعلام الجديد؛ إذ إن «الاتصال من صميم التفاعل بين البشر والإعلام من أهم وسائل الاتصال العصرية، ويمكن للإعلام شأنه شأن الاتصال بصورة عامة، أن يولد العداوات، كما يمكنه أن ينمي الصدقات»[1]، وهكذا أسقطت وسائل الإعلام الجديدة الحواجز بين الشعوب والحضارات والثقافات، وأنهت إلى الأبد احتكار السلطات التقليدية للإعلام والتوجيه والإعلان والأخبار والإبلاغ الوحيد المصدر والأحادي البُعد. وذلك بما يتميز به الإعلام الجديد من خصائص وسمات وممكنات لم يعرفها

(1) يوهان غالتونج وجاك لنيش، التغطية الإعلامية للنزاعات: التوجهات الجديدة لإعلام السلام، ترجمة: رشيد زياني شريف، مؤسسة قرطبة وشبكة ترانساند، 2010، ط1، ص11.

الإعلام التقليدي زمن ما كان يعرف بـ «السلطة الرابعة[1]. وهذا ما رصده أشرف عبد الحليم؛ إذ أشار إلى: «أن الإعلام بوسائله المختلفة وخاصة الإعلام الحديث يعد واحدًا من أهم مصادر معرفة أنماط السلوك والوعي الاجتماعي، كما أن أكثر من 90٪ من متابعي وسائل الإعلام، وخاصة الشباب، يضعونها في المرتبة الأولى بوصفها مصدرًا لثقافة العنف والتطرف والسلوك الإجرامي المنحرف والمضاد للمجتمع. وقد أظهرت دراسة علمية عن دور وسائل الإعلام في تشكيل الوعي الاجتماعي لدى الشباب وأن 60٪ تقريبًا يتعرضون دائمًا إلى وسائل الإعلام، وأن 50٪ يتعرضون لوسائل الإعلام من ساعة إلى 3 ساعات، كما أن قضايا الإدمان والمخدرات ومشكلات المراهقة والعنف والتطرف الديني تأتي في مقدمة القضايا التي يقبل عليها الشباب في وسائل الإعلام»[2].

وظائف الإعلام الجديد وعناصره:

لا شك أنَّ وظائف الإعلام الجديد قد تنوعت واكتسبت أبعادا جديدة إذ يرصد بعض الباحثين أربع عشرة وظيفة أو مهمة رئيسة أو فرعية لوسائل الاتصال الجديدة وهي: «مراقبة الناس والتعلم منهم، وتوسع آفاق التعرف إلى العالم، وتوسيع التركيز

(1) يقول ميلود مراد، «تعد (السلطة الرابعة) المتمثلة في الإعلام التقليدي بوسائله القديمة قادرة على الصمود أمام اجتياح السلطة الخامسة المتمثلة في مختلف المواقع الإعلامية المنتشرة على الشبكة العنكبوتية، كـ: «الفيسبوك» و«يوتيوب» و«تويتر» و«المدونات الشخصية» وغيرها. وقد ساد مفهوم السلطة الرابعة في القرنيين التاسع عشر والعشرين بكونه مفهوما رقابيا على السلطات الأخرى، لكنه أخذ يتلاشى مع ظهور الإنترنت». مراد، الإعلام الجديد.. السلطة الخامسة التي ولدت من رحم السلطة الرابعة.

(2) أشرف عبد الحليم، دور الإعلام الديني في الوقاية من المد المتطرف؛ ورقة مقدمة إلى مؤتمر (منهجية المرأة في بناء الأوطان).

والاهتمام، ورفع معنوية الناس، وخلق الأجواء الملائمة للتنمية، ويساعد بصورة غير مباشرة على تغيير الاتجاه، ويغذي قنوات الاتصال بين الأشخاص، وتدعيم الحالة الاجتماعية، وتوسيع نطاق الحوار السياسي، وتقوية المعايير الاجتماعية، وتنمية أشكال التذوق الفني والأدبي، ويؤثر في الاتجاهات الضعيفة ويقويها، ويعمل مدرسًا ويساعد في جميع أنواع التعليم، وقد ولد تطور الحاجات الاجتماعية والسياسية والاقتصادية للمجتمعات المختلفة»[1]. وعلى صعيد البنية التقنية لمؤسسة الإعلام الجديد يمكن تمييز أربعة عناصر أساسية هي:

أولًا: شبكة الإنترنت، أو ما يسمى بالشبكة العنكبوتية بمختلف تطبيقاتها بوصفها الملمح الثوري الأبرز في الإعلام الجديد، فضلًا عن كونها رمز التجديد والجدة ليس في مجال الميديا الجديدة فحسب بل وللحضارة الراهن، حضارة الموجة الثالثة كما ذهب ألفين توفلر[2].

ثانيًا: الأجهزة المحمولة الجوالات بمختلف أنواعها وتطبيقاتها بما في ذلك أجهزة قراءة الكتب والصحف.

ثالثًا: منصات الإعلام التقليدية بعد أن أعيد تجديدها وتطويرها وتأهيلها بما يتسق مع إستراتيجيات الإعلام الجديد ووظائفه وأهدافه ومنها الصحافة والراديو والتلفزيون والسينما والقنوات الفضائية المتصلة بالأقمار الصناعية؛ إذ بات ربع عدد الأقمار الصناعية (13000) حول العالم في خدمة الإعلام الجديد، حيث بلغ عدد القنوات التلفزيونية الفضائية في العالم نحو (31500).

---

(1) نسرين حسونة، الإعلام الجديد: المفهوم والوسائل والخصائص والوظائف، مدونة الصحافية، جوجل، نوفمبر 2012. وأيضًا: موقع الألوكة الثقافية 3/16/ 2014.

(2) قاسم المحبشي، حضارة الموجة الثالثة عند توفلر، مجلة العلوم الاجتماعية والإنسانية، الصادرة عن جامعة عدن، العدد (13)، أكتوبر 2008م، ص45.

رابعًا: الإعلام الجديد القائم على منصة الكمبيوتر، ويتم تداول هذا النوع إما شبكيًّا أو بوسائل الحفظ المختلفة مثل الأسطوانات الضوئية وما إليها، وتشمل العروض البصرية وألعاب الفيديو والكتب الإلكترونية وغيرها[1]، وهكذا يمكن القول: إن الإعلام الجديد وتأثيره اليوم قد بلغ كل مكان يقطنه الإنسان في كوكب الأرض عبر ومن خلال شبكة هائلة من الوسائط والطرق والأدوات والقنوات المتزايدة التطور والاضطراد بوتيرة متسارعة بما تتسم به من خصائص وسمات بالغة الجدة والحداثة.

خصائص الإعلام الجديد وممكناته:

1- الحرية الإعلامية: بمعنى حق كل فرد إنساني وحريته في امتلاك القدرة الإعلامية واستخدمها بكل الوسائط الممكنة بدون رقيب أو حسيب، وبذلك سقطت نظرية (حارس البوابة) التي سادت مجال الإعلام التقليدي في العصور الحديثة؛ إذ بات بإمكان الأفراد التعبير عن ذواتهم وأصواتهم في الفضاء التواصلي العام بوصفهم فاعلين إيجابيين وليس مجرد متلقيين سلبيين.

2- التفاعلية: بمعنى القدرة على الاستجابة أو المبادرة التي يقوم بها المستخدم مقارنة بما يقدمه المصدر، على عكس الإعلام التقليدي، حيث كان المستهدفون غير فاعلين بل مفعولًا بهم، كمتلقين سلبيين للرسائل الآتية من المرسل، مع الإعلام الجديد وشبكات التواصل الاجتماعي انتقل المستهدفون إلى فاعلين إعلاميين ومتفاعلين إيجابيين، في عملية حوارية تبادلية حية ومباشرة كما هي الحال في عملية المحادثة المباشرة بين الأشخاص وجه لوجه.

3- اللاتزامنية: بمعنى تحرر الفاعلين الإعلاميين من السياق الزمني المحدد

---

(1) نسرين حسونة، المرجع السابق، ص11.

سلفًا؛ إذ بات بمستطاعهم التفاعل مع العملية الاتصالية في الأوقات المناسبة لهم وبحسب ما تقتضيه حاجاتهم وظروفهم، سواءً كانوا مستقبلين أو مرسلين.

4- المشاركة والانتشار: بمعنى ما ينطوي عليه الإعلام الجديد من ممكنات وآفاق واسعة للمشاركة والانتشار في بث ونشر وتبادل المنشورات على أوسع نطاق من المستهدفين الاجتماعيين لأي فرد يمتلك الوسائط والأدوات الإعلامية الجديدة حتى وإن كانت بسيطة.

5- الدينامية والمرونة: بمعنى القدرة على الحركة والسرعة والتحديث والتبديل والتحويل وإدماج المواد المنشورة في أكثر من وسيلة وطريقة (النصوص، والصوت، والصورة الثابتة، والصورة المتحركة، والرسوم البيانية ثنائية وثلاثية الأبعاد)، فضلًا عن قدرة الأفراد على ممارسة فعل التواصل والاتصال من أي مكان كانوا وفي أثناء حركتهم عبر التليفون المحمول، تليفون السيارة، التليفون المدمج في ساعة اليد، آلة تصوير المستندات وزنها عدة أوقيات، وجهاز فيديو صغير، وجهاز فاكسميل، وحاسب آلي نقال مزود بطابعة[1].

6- العالمية: بمعنى أن الإعلام الجديد يفعل في فضاء تواصلي عالمي عابر للثقافات واللغات والمكان والزمان.

7- الحفظ والتخزين: يتيح الإعلام الجديد للفاعلين الاجتماعيين القدرة على حفظ وتخزين منشوراتهم أو مستندات غيرهم واسترجاعها متى شاءوا، في وسائط متنوعة وفعالة.

8- التربية والتعليم: أتاحت وسائط الإعلام الجديد لكل المستهدفين من مختلف الشرائح الاجتماعية والفئات العمرية إمكانية التعلُّم والتعليم والتدريب والتثقيف

(1) نسرين حسونة، المرجع السابق، ص5.

الذاتي عبر البرامج المنشورة التي تضخها على مدار الساعة، وهذا ما يسميه أولفينتوفلر بـ «تحول السلطة»[1].

وهناك عدد واسع من الأبعاد والممكنات التي ينطوي عليها الإعلام الجديد لا يتسع المجال لحصرها، بل نكتفي بالاتفاق مع فرانك كيلش في أن ثورة الإنفوميديا قد غيرت العالم وغيرت حياتنا معه[2].

ثالثا- علاقات الهيمنة وإستراتيجيات الهوية:

إذا ما حاولنا النظر في المسألة الطائفية العربية في سياقها التاريخي الثقافي الراهن من منظور علاقات الهيمنة ورهانات الهوية فربما نقترب من جوهر المعضلة؛ إذ إن دعاوى القول بأن الطائفية هي سمة لازبة ومتأصلة في المعتقد الديني من حيث هو كذلك أو جوهر ثابت في الإسلام يمكن دحضها بالوقائع التجريبية المقارنة مع المجتمعات المعاصرة التي تحيط بنا مثل الهند وأثيوبيا وتركيا وباكستان بل وأكبر دولة إسلامية إندونيسيا وماليزيا وغير ذلك من المجتمعات التي تزخر بتعدد الأديان والطوائف والأقليات الإثنية واللغوية، ففي الهند وحدها أكثر من 600 ديانة ومعتقد، ورغم ذلك لا تعاني من وجود مشاكل طائفية كما هي حال شعوب المنطقة التي هي «موحدة لا بسبب حلولها المشتركة ولكن بسبب مشاكلها المشتركة»[3].

---

(1) ألفين توفلر، تحول السلطة بين العنف والثروة والمعرفة، ترجمة: فتحي بن شت وان ونبيل عثمان، الدار الجماهيرية للنشر، ليبيا، ط1، 1992، ص15.

(2) فرانك كيلش، ثورة الانفوميديا، الوسائط المعلوماتية وكيف تغير العالم وحياتك، ترجمة: حسام الدين زكريا، سلسلة عالم المعرفة الكويتية، عدد (253)، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب.

(3) جوزيف شاخت وآخرون، تراث الإسلام، ج2، ترجمة: حسين مؤنس، عالم المعرفة الكويتية، عدد (234)، يونيو 1998.

ومن المؤكد أن مشكلة الهويات التقليدية وحروبها المشتعلة اليوم هي أعقد مما يمكننا تصوره، وليس بمقدورنا فهمها أو تفسيرها بسبب واحد أو بعدة أسباب وعوامل ومتغيرات بسيطة؛ إذ هي حصيلة شبكة هائلة من الشروط والعوامل والأسباب التي تشكل لحمة التاريخ وقوة الثقافة (علمًا وأدبًا وفنًا)، وهي قوة التاريخ الإبداعية والحضارة (سياسة وأخلاقًا وتشريعًا)، وهي قوة التاريخ التنظيمية، والمدنية (زراعة وصناعة وعمارة)، وهي قوة التاريخ المادية السلعية.

وهذا يدفعنا إلى إعادة النظر في أدواتنا المعرفية ونقدها باستمرار في ضوء المعطيات الجديدة للعلوم الاجتماعية والإنسانية. ولما كانت المشكلة التي تؤرقنا هنا هي مشكلة العيش المشترك للناس في مجتمع مندمج ومستقر وقادر على النماء والتطور والازدهار، فمن المهم أن نتوفر على الفهم اللازم عما يجعل الحياة المشتركة في مجتمعاتنا العربية ممكنة كما هي حال المجتمعات التي نتقاسم معها الحياة في عالمنا الراهن.

ومن الأخطاء الشائعة في تاريخ العلوم الاجتماعية فكرة الطبيعة المدنية والسياسية للكائن البشري، التي نسبت إلى أرسطو بصيغة (الإنسان كائن مدني بالفطرة) وأعادها ابن خلدون بصياغة أخرى، وهي الفكرة التي دحضتها الأنثروبولوجيا التجريبية، وهذا ما دفع روسو إلى قول عبارته الشهيرة: «إن أردت أن تعرف الناس فانظر إلى ما حولك، أما إذا أردت معرفة الإنسان فيلزمك النظر إلى بعيد جدًّا في بدايات تكونه». وربما يعود نجاح الغرب في ضبط الظاهرة الاجتماعية نسبيًّا إلى تلك الجهود الحثيثة التي بذلها العلماء في دراسة وبحث حقيقة الكائن الإنساني؛ إذ لا تقدم ولا تطور ولا ازدهار إلا بالسيطرة على الطبيعة ولا تكون السيطرة على الطبيعة إلا بفهم ديناميتها ومعرفة قوانين فعلها وأسباب حركتها والتنبؤ بنتائجها. وفي هذا السياق يمكن النظر إلى عمل الفيلسوف الفرنسي تزفيتان تودوروف في كتابه (الحياة المشتركة: بحث أنثروبولوجي 1995)، والذي توصل فيه إلى دحض فكرة الطبيعية

الاجتماعية للإنسان؛ إذ كتب أن بحثه «ليس معالجة الإنسان في المجتمع كما جرت العادة بل على العكس معالجة مكانة المجتمع في الإنسان. فماذا يعني بالضبط هذا القول المقبول عمومًا: إن الإنسان كائن اجتماعي؟»، وفي سياق بحثه عن الإجابة الممكنة للسؤال توصل تودوروف إلى: «أن الإنسان كائن أناني ونفعي محض يهيمن عليه حب الذات والتفرد والاستحواذ، وأن اجتماعيته ليست طبيعة فطرية بل هي ثقافية مكتسبة بفعل الضرورة القاهرة التي جعلته بحاجة إلى وجود الآخرين».

وتلك هي الفكرة الفلسفية التي أسست لمشروع الحداثة الغربية وحضارتها اليوم، فكرة الفصل بين مجال الرغبات والشهوات الأنانية الفطرية المتأصلة في الطبيعة البشرية، الـ(هو) المحكومة بمبدأ الليبدو، واللذة، حسب فرويد، ومجال العقل (أعدل الأشياء قسمة بين الناس) حسب ديكارت، الأنا الواعية الـ(هي) المحكومة بمبدأ الواقع، واقع العيش المشترك في المجال الاجتماعي العمومي المحكوم بالعقد الاجتماعي المدني العلماني.

في ضوء ذلك يمكننا النظر في الهويات بوصفها رهانات صراع وإستراتيجيات قوى بين الفاعلين الاجتماعيين في مجتمعاتنا العربية والإسلامية، وبينها والمجتمعات الحديثة، ولا وجود لهويات ثابتة ومكتملة وجاهزة في الظاهرة الاجتماعية، كما أنه من غير الممكن التعرف إلى الأفراد والجماعات مما يقولونه أو يعتقدونه عن أنفسهم، فكذلك يصعب فهمهم من هوياتهم الثقافية، بل لا بد من فهم (روح المعاشرة الاجتماعية في ما بينهم) حسب تعبير الأنثروبولوجي الإنجليزي مايكل كاريذرس في كتابه (لماذا ينفرد الإنسان بالثقافة؟): «المعاشرة بوصفها علاقة تفاعلية تبادلية يومية بين الناس في عالمهم المعيش، عالم الممارسة الواقعية الحية»[1]. الممارسة التي تعبر

(1) مايكل كاريذرس، لماذا ينفرد الإنسان بالثقافة؟ ترجمة: شوقي جلال، عالم المعرفة الكويتية، عدد (229)، يناير 1998.

بوضوح عن معناها حسب بول فيين: «إذ ليست مثالًا غامضًا أو أرضية تحتية للتاريخ أو محركًا خفيًا، بل ما يفعله الناس» في حاضرهم المباشر، حيث يكدون ويكدحون ويتدافعون ويتسابقون ويتنافسون ويتصارعون في سبيل الحصول على مقدرات وعناصر العيش المادية والمعنوية، حيث تكتسب الخطابات والرموز والتصورات والأسماء والمسميات والتعريفات والصفات والهويات الفردية والجمعية أهميتها وقيمتها وفاعليتها ودلالتها،وقوتها وسلطتها؛ إذ إن سلطة الكلمات والرموز لا توجد في ذاتها وبذاتها، بل تستمدها من خارجها، من سلطة الذين يستخدمونها في الواقع المتعين. وفي علاقة السلطة بالمعرفة، لا شيء خلف الستار حسب ميشيل فوكو؛ فالسلطة بوصفها علاقات قوى هي التي تقول دون أن تتكلم، والقوة دائمًا هي التي تشكل المجتمع وتمنحه المعنى، وهذا هو معنى القول المأثور «الناس على دين ملوكهم». والناس هم الذين يشكلون مؤسساتهم ثم تقوم هي بتشكيلهم، فكيف ما كانت تلك المؤسسات يكونون بمعنى من المعاني.

ويورد أمين معلوف في كتابه (الهويات القاتلة)، مثالًا معبرًا عن الهوية ورهاناتها الإستراتيجية عند رجل بوسني عانى أهول الحرب العنصرية في البلقان، على النحو الآتي: «عام 1980، كان هذا الرجل سيعلن بكل فخرٍ، ودون ارتباك: «أنا يوغسلافي». وإذا سُئل عن قربٍ، لأوضح أنه يسكن في جمهورية البوسنة والهرسك المتحدة، وأنه، للمصادفة ينحدر من عائلة مسلمة. وإذا صادفنا الرجل ذاته بعد اثني عشر عامًا، والحرب في أوجها، لأجاب بشكلٍ عفويٍّ، وبكل قوة: «أنا مسلم». وربما ترك لحيته تنمو وفقًا للشريعة، وربما أضاف فورًا أنه بوسني. وما كان سيحبذ مطلقًا أن نُذكِّره بأنه كان يؤكد بكل فخرٍ انتماءه اليوغسلافي (قبل عشر سنواتٍ فقط). واليوم، إذا سُئل، هذا الرجل، فسيعتبر نفسه بوسنيًّا أولًا، ثم مسلمًا، وسيضيف بأنه يذهب إلى الجامع بانتظام، ولكنه سيؤكد أيضًا أن بلده تشكل جزءًا من أوروبا، ويأمل أن يراه يومًا

ما منتسبًا إلى الاتحاد الأوروبي. وإذا وجدنا الشخص ذاته، بعد عشرين عامًا، فكيف سيعرّف نفسه؟ أي من انتماءاته سيضع في المقدمة: أوروبي، مسلم، بوسني، شيء آخر، بلقاني ربما..؟! وبتوسيع دائرة الاستقصاء المتخيلة، سيبدو أن الرجل قد وُلِد في عائلةٍ ذات تقليدٍ إسلاميٍّ، وينتمي بلغته إلى سلافيي الجنوب الذين كانوا متحدين في إطار دولة واحدة، ولم يعودوا اليوم كذلك، وهو يحيا على أرض كانت عثمانية تارة، وتارة كانت نمساوية، ونالت حصتها من مآسي التاريخ الأوروبي الكبرى، وفي كل عصرٍ تضخم واحدٌ من انتماءاته، لدرجة أنه يخفي كل الانتماءات الأخرى، ويمتزج مع هويته كاملة».

وكتبت لوسي مير «لا يوجد أي مجتمع تحترم فيه القواعد تلقائيًّا»، ووظيفة السلطة هي الدفاع عن المجتمع من نقائصه الخاصة، ومن التهديدات الآتية من خارجه. فكيف هي حال السلطة والسلطان في مجتمعاتنا الآن؟

إن الحداثة الديكورية في المجتمعات التقليدية يمكن أن تزيد الصراع بين الجماعات التقليدية وبين الجماعات التقليدية والجماعات الحديثة، هكذا كتب صاموئيل هنتجتون: «إن الجماعات العرقية والدينية التي عاشت بسلام، جنبًا إلى جنب في مجتمع تقليدي، تصبح مدفوعة إلى صراع عنيف نتيجة للتغيرات والتوترات واللامساواة المتولدة عن الحداثة الاجتماعية والاقتصادية»[1].

نخلص إلى أن معضلة صراع الهويات القاتلة بصيغها المختلفة يتمثل جزء منها في الانفتاح على قِيَم وأنماط الحداثة الاقتصادية والثقافية والتقنية والإعلامية والتعليمية في ظل رسوخ العلاقات التقليدية في المجال السياسي والمدني. إنها الفجوة

(1) صاموئيل هنتجتون، من الحداثة إلى العولمة، ترجمة: إيمي هايت، عالم المعرفة الكويتية، العدد (309) نوفمبر 2004، ص312.

بين الطموح والتوقع بين خلق المزيد من الحاجات مع غياب القدرة على تلبيتها. وفي ظل غياب المؤسسة الجامعة القائمة على قوة الحق لا على حق القوة يكون النزوع إلى الصراع والحرب قوة كامنة في ثنايا علاقات الهيمنة بين الذوات الاجتماعية المتفاعلة. وقد أثبتت الدراسات الحديثة في علم النفس أن سلوك الناس حساس جدا للوضع الذي يكونون فيه في مجتمعهم.

وهذا ما يدعونا إلى التأمل في ما كتبه الأمريكي روبرت كابلان، في مستقبل الديمقراطية: «إن الديمقراطيات لا تجعل المجتمعات دائمًا أكثر تحضرًا، لكنها تفضح دائمًا - وبلا رحمة - صحة المجتمعات التي تجربها... فإذا كان المجتمع في صحة غير معقولة، فإن الديمقراطية لن تكون فقط محفوفة بالمخاطر، بل ربما تكون كارثة أيضًا»[1].

وفي ظل غياب مؤسسة محايدة للعدالة، أقصد الدولة الحديثة القائمة على الفصل بين السلطات الثلاث (التشريعية، والتنفيذية، والقضائية) واستقلال المجالات، (السياسي، والديني، والمدني، والاقتصادي، والثقافي، والعلمي... إلخ)، فيستحيل إيجاد وسيلة ناجعة يمكنها السيطرة على ظاهرة الحروب الطائفية المشتعلة، وكل المحاولات الراهنة المعتمدة على المدخل الأمني في ضبط ظاهرة العنف في المجتمعات بالقوة العسكرية المحلية أو الخارجية، من المؤكد أنها تزيده اشتعاله، بل أن تلك الوسيلة العنفية الرسمية تشبه (اللهب الذي يلتهم كل ما يمكن إن يلقي عليه بقصد إطفائه). حسب جيرار في كتاب (العنف المقدس)[2].

---

(1) روبرت كابلان، مستقبل الديمقراطية: هل كانت الديمقراطية مجرد لحظة، ترجمة: أحمد خضر، مجلة الثقافة العالمية، عدد (93)، الكويت، مارس 1999.

(2) رينيه جيرار، العنف المقدس، ترجمة: رضوان ظاظا، بيروت، مركز دراسات الوحدة العربية، ط2، مايو 2008.

رابعًا- الإرهاب ودور وسائل الإعلام:

لا ريب بأن الإرهاب بما هو استخدم للعنف غير المشروع من أجل تحقيق مكاسب سياسية وأيديولوجية أو اقتصادية واجتماعية أو ثقافية ودينية... إلخ، قد وجد في الإعلام الجديد ضالته المنشودة في تحقيق ما يصبو إليه من الترويع والترهيب للمستهدفين من الدول والمجتمعات والأفراد في عموم العالم، بما جعله في بضعة سنوات يقفز إلى مرتبة أخطر المشكلات والتحديات التي تواجه الحضارة الإنسانية المعاصرة؛ إذ ليس هناك من مشكلة تؤرق الناس اليوم بحجم مشكلة الإرهاب الذي أخذ ينداح ويضرب في كل مكان من جهات العالم الأربع وينتشر كالنار في الهشيم. وقد كتب تشارلز تاونزند في مستهل كتابه (الإرهاب مقدمة قصيرة جدًّا) يقول فيها: «يقض الإرهاب مضاجع الناس، ويفعل ذلك عمدًا؛ فهذا هو الهدف منه، ولهذا السبب شغل جانبًا كبيرًا من اهتمامنا في السنوات الأولى من القرن الحادي والعشرين؛ فبينما يتخذ الشعور بعدم الأمان صورًا كثيرة، فلا شيء آخر يتلاعب بشعورنا بالخطر أكثر من الإرهاب.. يبدو التهويل ناتجًا ثانويًّا طبيعيًّا للتغطية الإعلامية للإرهاب، وبالنسبة لوسائل الإعلام تعتبر قضية الإرهاب الأعظم قضية لا تقاوم، «يحب الناس أن يروعوا». لكن هذه الحقيقة العادية لا تخبرنا الكثير عما إذا كانت الإثارة الناتجة عن الخوف لها أي أساس عقلاني»[1].

وقد سبقت الإشارة إلى أن الإرهاب يتميز عن غيره من أنماط العنف الأخرى بطريقة دراماتيكية لجذب الانتباه العام وخلق مناخ من الرعب يتجاوز الضحايا الذين تعرضوا له.. فالقتل أو الإبادة تهدف إلى قتل جماعة بالكامل، ولكن الإرهاب يقتل عددًا من الناس بهدف التأثير على جمهور أوسع[2].

---

(1) تشارلز تاونزند، المرجع السابق، ص9.

(2) إبراهيم غرايبة، سيكولوجية الإرهاب: كيف تقود المعتقدات والعواطف للقسوة والكراهية، موقع مؤمنون بلا حدود للدراسات والأبحاث، 2016/7/22.

وهنا تكون حبكة العلاقة بين الإعلام الجديد والإرهاب بمظاهره الجديدة والمتجددة باستمرار.

وثمة شبه اتفاق بين الدارسين بأن الإعلام الجديد قد أسهم في نشر وشيوع ظاهرة الإرهاب حول العالم بطرق ووسائل شتى؛ إذ يعتمد المتخصصون والأكاديميون عدة مداخل نظرية ومنهجية مقاربتهم ظاهرة العلاقة المتشابكة بين الإرهاب والإعلام الجديد منها: «الإرهاب «الإلكتروني» أو «الرقمي» أو «الافتراضي» أو «الشبكي»؛ فقد تمكنت معظم التنظيمات الإرهابية شبه المنظمة من امتلاك أدوات المعرفة والتقنية اللازمة لاختراق العالم الافتراضي بدرجة كبيرة»[1]، وسوف نلحظ كيف أن شبكات التواصل الاجتماعية بوصفها شبكات تفاعلية تواصلية خفيفة وسهلة تتيح لمستخدميها التواصل في أي وقت، وفي أي مكان في العالم، قد منحت الجماعات الإرهابية إستراتيجيات جديدة لتحقيق أهدافها بسرعة أكبر وكفاءة أعلى، كما ضمنت لها تحقيق اتصال آمن بين أعضاءها بعيد عن أعين رجال الأمن[2]. وفي هذا السياق يذهب غوين داير إلى التأكيد أن الإعلام الجديد هو الإستراتيجية الفاعلة التي تتبعها الحركات الإرهابية في التعبير عن ذاتها وإيصال رسالتها للمستهدفين «إذ يشكل الإرهاب دعاية من خلال الفعل» فهو يجعل الأشخاص اللذين قاموا به معروفين لعامة الناس مع أفكارهم وأهدافهم.. وقد كان هذا المنطق هو المحرك الإستراتيجي للإرهابيين الذين هاجموا برج التجارة العالمي في نيويورك في 11 سبتنمبر 2001؛ إذ عمدوا إلى اختيار هدفهم بعناية بالغة بغرض إحداث أكبر حد من الصدمة والرعب في العالم

(1) سماح عبد الصبور، الإرهاب الرقمي، مجلة اتجاهات الأحداث، عن مركز المستقبل، القاهرة، موقع المستقبل للأبحاث والدراسات المتقدمة، 10/2/ 2014.

(2) إيمان الشرقاوي، جدلية العلاقة بين الإعلام الجديد والممارسات الإرهابية – دراسة تطبيقية على شبكات التواصل الاجتماعي، مقدمة إلى مؤتمر (دور الإعلام العربي في التصدي للإرهاب) المنعقد في أكاديمية نايف للعلوم الأمنية، 2014.

أجمع بهدف لفت الأنظار في بيئة إعلامية يصعب فيها إيصال الرسالة بدون هذه الوسيلة والطريقة المدوية[1]. في هذا السياق ينقل عن أيمن الظواهري زعيم تنظيم القاعدة قوله بالحرف «... إننا نخوض أكثر من نصف معركتنا في الساحة الإلكترونية والإعلامية». وقدم نصيحة لكوادره قائلًا: «عليكم أن تدركوا أن كل لقطة تلتقطونها هي بأهمية صاروخ يطلق على العدو...»[2].

لسنا بحاجة إلى المزيد من الشواهد والأدلة عن تواشج العلاقة بين شبكات التواصل الاجتماعية والشبكات الإرهابية، فقد أثبتت الدراسات أن الشبكات الإلكترونية تمارس دورًا كبيرًا في التأثير على كل فئات المجتمع؛ إذ تشير الدراسات إلى إن «عدد المواقع المحسوبة لجماعات الإرهاب العالمي ارتفع من نحو 12 موقعًا إلكترونيًّا عام 1997، إلى 4,350 موقعًا في أوائل عام 2005، ثم 4,800 موقع عام 2006، وتجاوز أكثر من 6 آلاف موقع إلكتروني في نهاية عام 2008، ومن الملحوظ أن تنظيم القاعدة كان له السبق في الاعتماد على المواقع الإلكترونية لتحقيق الأهداف الإستراتيجية، وتسهيل القيام بالعمليات التكتيكية»[3].

والسؤال الذي يهمنا هنا هو: كيف ساعد الإعلام الجديد على شيوع وانتشار العنف والتطرف والإرهاب حول العالم؟ وبأي الوسائل والأدوات تحقق ذلك؟ وماذا يمكن للإعلام الجديد فعله في سبيل مكافحة الإرهاب والتصدي لأخطاره وتغيير مساره؟

وقد سبقت الإشارة إلى دور الإعلام عامة والإعلام الجديد تحديدًا في التأثير على الناس وثقافاتهم وسلوكهم واتجاهاتهم وقناعاتهم بما يبثه من سيل منهمر بالنصوص

---

(1) غوين داير، فوبيا داعش وأخواتها، ترجمة: رامي طوقان، الدار العربية للعلوم، ط1، بيروت، 2015.
(2) يوسف بن أحمد الرميح، دور الإرهاب الجديد.. الإرهاب الرقمي، الرياض، الجزيرة بلاس.
(3) سماح عبد الصبور، المرجع السابق، ص7.

والصور والدراما والمشاهد والأحداث والمعلومات عبر الأقمار الصناعية والقنوات الفضائية وشبكات التواصل الاجتماعي والهواتف الذكية وغيرها على مدار ساعات الليل والنهار؛ إذ بات الناس معرضين أكثر من أي وقت مضى إلى مضامين ما يشاهدونه أو يسمعونه أو يقرؤونه. ومن هنا تكمن أهمية الإعلام ومخاطر التوظيف السلبي له بما يساعد على إذكاء العنف والتطرف والإرهاب وهذا هو الموضوع الذي حفز الكاتبان يوهان غالتونغ وجاك لينش على تأليف كتابهم المهم (التغطية الإعلامية للنزاعات: التوجهات الجديدة لإعلام السلام). وهو ما سنأتي عليه لاحقًا.

توظيف الإرهاب للإعلام الجديد:

تنوعت طرق العناصر والشبكات الإرهابية في استخدام شبكات الإعلام الجديد وتوظيفها لخدمة مشاريعهم الإرهابية وعلى وجه الإجمال يمكن الإشارة إلى وظيفتين وجدها الإرهاب في الإعلام الجديد:

1- وظيفتها التقنية المصنوعة لها للتواصل والاتصال بين جميع الأفراد من الناس بصرف النظر عن أغراضهم.

2- وظيفة الإرهاب الإلكتروني أو ما أسمياه فيليب سيب ودانا جانيك في كتابهما المهم (دور الإعلام الجديد في انتشار ظاهرة الإرهاب: جيل ما بعد القاعدة) بالإرهاب عبر الإنترنت الهادف «إلى إلحاق الضرر بالأفراد، وبالممتلكات عبر نشر الفيروسات، والتلاعب بالمعلومات عبر الإنترنيت»[1]؛ إذ كان الإرهابي بالأمس يتسلح ببندقية وقنبلة، أما إرهابي اليوم فيتسلح بجهاز حاسب محمول وآلة تصوير. في الواقع لقد قدمت الشبكة العنكبوتية أو (الشبكة السوداء) للإرهاب ما لم يكن يحلم به أبدًا من الظهور والشيوع والانتشار في بضعة سنوات، وذلك عبر الاستخدامات المتنوعة للإعلام الرقمي منها:

(1) رضوى عمار، الإرهاب العالمي والإعلام الجديد، صحيفة الأهرام، الأحد 24 يوليو 2016.

أولًا- التواصل والاتصال: في بداية الأمر أتاحت خدمة الهواتف التقليدية للعناصر الإرهابية كغيرهم من الناس القدرة على التواصل والتعارف والاتصال وتبادل المعلومات، ثم جاءت الهواتف الذكية وتطبيقات الإنترنت الواتساب وفيبر وأومو ولاين وتانجو وسكايبي والإيميل والفيسبوك وتويتر ويوتوب والانستجرام وغيرها، لتعزز تسهيل عملية التواصل والاتصال والتعارف بين الأفراد والمجموعات عبر الاتصالات الفردية أو الجروبات، وذلك لسهولة استخدماها وسرعتها وكفاءتها وبعدها عن الرقابة.

ثانيًا- التجنيد والتعبئة: وجدت العناصر الإرهابية في شبكة التواصل الاجتماعي بقيتها في ترويج أفكارها بين الشباب وتجنيدهم وكان «الفيسبوك» من أكثر وسائل التواصل الاجتماعي استخدامًا في تجنيد المتطرفين، وغالبًا ما تقوم الجماعات الإرهابية بإنشاء «مجموعة Group» على «فيسبوك» لاجتذاب المتوافقين فكريًّا معها... وتذكر إحدى الدراسات الحديثة أنه من أخطر المؤشرات أن نعرف «أن 80٪ من الذين انتسبوا إلى تنظيم داعش تم تجنيدهم عبر وسائل التواصل الاجتماعي»[1].

ثالثًا- التنسيق والتنظيم: استخدمت الشبكات الإرهابية تقنيات الإعلام الجديد وتطبيقاته في جمع وتنظيم عناصرها حول العالم، ومن ثَمَّ تنسيق الخطط والمشاريع المستهدفة بالعمليات بعد جمع المعلومات والإحداثيات وتحديد الأهداف والعناصر بطرق بالغة الدقة والسرية.

رابعًا- الترويج والإعلان: أسهمت القنوات الفضائية والصحافة الإلكترونية والمواقع الإخبارية وشبكات التواصل الاجتماعية الرسمية وغير الرسمية بوعي منها أو بدونه في الترويج للإرهاب وإشاعته من خلال نقلها الأحداث والعمليات والتحركات الإرهابية في كل مكان حول العالم عن طريق الإخبار عنها ونقل وتداول صورها

(1) يوسف بن أحمد الرميح، المرجع السابق، ص20.

ومنشوراتها ورموزها... إلخ، وذلك تحت حجج مهنية كالسبق الصحفي، ونقل الحقيقة، والتنافس على جذب المزيد من المستهدفين من جمهور المشاهدين والمتابعين، وهي بذلك تقدم دعاية مجانية للإرهاب وتعزيز حضوره، وتلك هي إحدى الرهانات الإستراتيجية التي تنتهجها العناصر الإرهابية في تأكيد حضورها وقوتها وانتشارها؛ إذ إن الإرهابيين يستغلون هرولة وسائل الإعلام من أجل السبق الصحفي، وذلك في نشر الصور المروعة، والخسائر والأضرار بشكل متكرر، مقرونة بوجهات نظر الإرهابيين. وليس هناك وسيلة ممكنة لنشر العنف وإشاعته بين الناس بأفضل من إشاعته وجعله مادة إخبارية متداولة على أوسع نطاق. هذا فضلًا عن ما تمتلكه الشبكات الإرهابية من قنوات ووسائط إعلامية خاصة بها. وبحسب بعض الدراسات «إن تنظيم داعش يملك سبع أذرعًا إعلامية يبث من خلالها العنف والإرهاب حول العالم، وهي: (أجناد، والفرقان، والاعتصام، والحياة، ومكاتب الولايات، وإذاعة البيان، ومجلة وموقع دابق. و90 ألف صفحة على مواقع التواصل الاجتماعي، وخاصة فيسبوك وتويتر»[1].

خامسًا- الدعم والابتزاز: استخدمت الجماعات الإرهابية مواقع التواصل الاجتماعي لتسهيل التحويلات المالية في ما بينها، وفي البحث عن مصادر التمويل والدعم المالي، وتحويل التبرعات، وغسيل الأموال، وبيع وشراء الأسلاب والمقتنيات التي تم نهبها كالآثار والتحف والأسلحة وغير ذلك، فضلًا عن ابتزاز الأفراد والمؤسسات والدول بالرهائن واختراق النظم والمواقع الحساسة.

سادسًا- الترويع والترهيب: تعتمد الجماعات الإرهابية على إستراتيجية إحداث أقصى حد ممكن من الترويع والفزع عند كل المستهدفين بما فيهم عناصرها، وذلك عبر تصوير وتوثيق عملياتها وجرائمها بالغة القسوة والوحشية ببراعة ودقة متناهية

(1) أشرف عبد الحميد، الإرهاب والإعلام الجديد، موقع العربية الحدث، 10 مارس2015.

ونشرها في وسائط التواصل الاجتماعي، وهذا ما فسر حرص الجماعات الإرهابية على توثيق وتصوير العمليات الإرهابية بالكاميرات الرقمية، ونشرها في الوسائط الرقمية.

سابعًا- التدريب والتأهيل: عمدت الجماعات الإرهابية إلى استخدام شبكة الإنترنت كأداة للتدريب العسكري لعناصرها، بنشر كتيبات عن الأسلحة، وتكتيكات القتال، وصنع المتفجرات، وتقديم دورات في صنع المتفجرات وإرشادات عن كيفية صناعتها محليًّا، بالإضافة إلى موضوعات أخرى ذات الصلة على غرار مجلة (معسكر البتار) التابعة لما يسمى تنظيم «القاعدة»[1]، بل تحولت بعض الوسائط الإلكترونية إلى معسكرات تدريب افتراضية للجماعة[2].

ولسنا بحاجة إلى إيراد المزيد من الشواهد عن الكيفية التي استخدمت بها الجماعات الإرهابية وسائط وتطبيقات الإعلام الجديد بكل مهنية وفعالية واقتدار فقد أثبت كثير من الدراسات والأبحاث علاقة الارتباط بين هذا المتغيرات والنتائج.

*

(1) صالح مختاري، كيف تستخدم الجماعات الإرهابية الإنترنت لهندسة جرائمها المنظمة؟ الجهاد الإلكتروني برعاية شركات أمريكية، موقع جراريس، الأمة العربية، نوفمبر 2009.

(2) يستخدم «يوتيوب» بصورة أساسية من جانب الجماعات بهدف التدريب، فالوظيفة الأساسية للموقع هي استضافة الفيديوهات التي يقوم المشتركون بتحميلها على الموقع (Upload) وبعد ذلك تصبح متاحة للرؤية من قبل الجميع. وعلى الرغم من وجود عدد من القيود على الفيديوهات التي يمكن وضعها على الموقع، فإن نظام المراقبة في الموقع يتم بعد وضع الفيديو على الموقع، وهو ما يعني أنه لا يتم حذف الفيديو، إلا إذا قام المشاهدون على الموقع بالإبلاغ عنه، ثم تتم بعد ذلك مراجعته وإزالته من قبل القائمين على الموقع، ما يجعل هناك إمكانية لتوظيفه من قبل الجماعات الإرهابية، إذ يمكن تحميل فيديو لكيفية تصنيع قنبلة، وتتم مشاهدته مئات المرات قبل أن يتم حذفه من قبل إدارة الموقع. ينظر: سماح عبد الصبور، المرجع السابق؛ إيمان شرقاوي، المرجع السابق، ص55.

خاتمة الدراسة:

الإعلام الجديد هو جزء أساسي من تطور الحضارة الإنسانية المعاصرة في عصر العولمة وما بعد الحداثة وما صاحبه وما زال من متغيرات عاصفة على صعيد الهويات ورهاناتها الإستراتيجية؛ إذ إن معظم الدراسات التي حاولت أن تُقارب الظاهرة العولمية وتأثيراتها المختلفة والمتضاربة أنها أجمعت على وجود تجليين رئيسين لظاهرة العولمة:

- توهن عرى الحدود القومية بين البلدان والثقافات، كتجلي وكهدف مباشر ومقصود.

- الطفرة الكبيرة في ظهور وبروز حركات اليمين الانعزالية، وانبعاث الهويات المحلية بشكل ربما لم يشهده القرنان الماضيان، حتى إن البعض يعد الجماعات الإرهابية المتطرفة إحدى الردود الانتحارية على اقتحام العولمة لخصوصيات المجتمعات التقليدية الضعيفة والمنهكة.

كان هذا التجلي المضاد بمثابة ردة فعل عكسية على التوجه الرئيس المباشر للسيرورة العولمية. فمن المؤكد أن تطوره وازدهاره سيستمر في تصاعد متزايد ولا بديل لذلك وبغض النظر عن كل السلبيات والأخطار المصاحبة لهذا التطور؛ إذ من الصعب أقناع العالم الكف عن استخدام الإعلام الجديد في تدبير شؤون حياته الراهنة بعد أن باتت شديدة الاعتماد عليه في مختلف مناحي الحياة[1]. فلا مندوحة لجميع سكان هذا العالم (دولًا، وشعوبًا، ومؤسسات، وأفرادًا) من التفكير والبحث الجاد عن

(1) جان فرانسوا ليوتار، الوضع ما بعد الحداثي، تقرير عن المعرفة، ترجمة: أحمد حسان، دار شرقيات، القاهرة، 1994، ص20.

خيارات بديلة لجعل العالم أكثر أمنًا وأمانًا، وذلك باتباع إستراتيجيات إعلامية رشيدة كفيلة بفك الاشتباك الأسود بين الإرهاب الجديد والإعلام الجديد، أما كيف يتم ذلك؟ فنقترح المداخل الآتية:

1- مدخل الإعلام العلمي:

يضع الإرهاب الجديد كونه ظاهرة اجتماعية العلوم الإنسانية والاجتماعية أمام تحديات منهجية ونظرية بالغة الخطورة والأهمية؛ إذ مازال المشتغلون في العلم الإنساني في حيرة من أمرهم تجاه مشكل الإرهاب ومداراته الفاجعة، ومازال سؤال الإرهاب فاغر فاه متعطشا للفهم والمعرفة العلمية العقلانية الممكنة، فما الإرهاب؟ وما العوامل والشروط التي تنتجه؟ وكيف نميز بين الإرهاب وغيره من الأفعال العنفية الأخرى؟ وما الذي يدفع إنسانا بكامل قواه العقلية إلى تفجير ذاته وتفجر الآخرين؟ وما سيكولوجية الإرهاب؟ وماذا بوسع الأسرة والمدرسة ودور العبادة والمجتمع والدولة فعله كي يكف الشباب والشابات عن انتهاج هذه الطرق المهلكة؟ وغير ذلك من الأسئلة الشائكة التي تقع في صميم عمل الفاعلين الأكاديميين في حقل الدراسات الاجتماعية والإنسانية. ويستطيع الإعلام الجديد لعب دوره في ذلك من خلال إتاحة المجال للمشتغلين في العلوم الإنسانية والمهتمين لمناقشة هذه الأسئلة في الوسائط الإعلامية المختلفة بشفافية وفتح نوافذ للحوار العلمي العقلاني الجدير بالقيمة والاعتبار في هذا الشأن[1].

وبذلك يتكامل الجهد الإعلامي مع الجهد العلمي في البحث والتوعية والنشر والتنوير.

---

(1) قاسم المحبشي، أزمة العلوم الإنسانية والتحديات الراهنة، في موقع شبكة ضياء للمؤتمرات والدراسات، 2016/6/27.

2- مدخل الإعلام البديل (إعلام السلام):

أثبتت المقاربة الإعلامية للظاهرة الإرهابية في السنوات القريبة الماضي بأنها تزيد من مدىٰ شيوعه واشتعاله وانتشاره بدلا من التقليل منه ومحاصرته، وذلك ناجم عن أسباب كثيرة منها (عدوىٰ العنف) وقدرته علىٰ استثارة الغرائز العدوانية عند شرائح واسعة من الجماعات المحبطة «فلئن كان الشعور بالإحباط أحيانًا ذا عواقب إيجابية؛ إذ يمكنه - علىٰ سبيل المثال - دفع الأفراد للتغلب عليه وتحقيق تطلعاتهم؛ إلا أنه قد يؤدي أيضًا إلىٰ الشعور بالاستياء والاعتقاد بأنهم يستحقون أفضل مما هم عليه، وهو ما يمكن أن يخلق قوة مدمرة. وقد يغدو الأمر أكثر خطرًا حين تتجمع هذه الإحباطات الفردية وتلهم حركة دعوية يمكن أن تكون عنيفة بفعل حركة المقاومة التي قد تجابهها من النظام الاجتماعي السائد»[1]. ويقترح الباحثان يوهان غالتونغ وجاك لينش، التمييز الدقيق بين طريقتين للإعلام والعنف، منحىٰ «العنف النصر» أو منحىٰ «النزاع السلم»[2].

3- مدخل الإعلام الثقافي:

ينطلق هذا المدخل من فكرة كيف يمكن للإعلام أن يساعد في جعل الثقافة بيئة أمنة وقادرة علىٰ تنمية وتخصيب قِيَم وشروط التعايش الاجتماعي الإنساني بين الناس؛ إذ إن الثقافة في جوهرها الإنساني التاريخي الإبداعي بوصفها ذلك الكل المركب الذي يشكل تفكيرنا وخيالنا وسلوكنا وقِيَمنا وعاداتنا وتقاليدنا، وهي فضلًا عن ذلك أداة لنقل السلوك ومصدر دينامي للتغيير والإبداع والحرية وتهيئة فرص الابتكار

(1) محمد الحاج سالم، الفكر المتطرف: كيف يصبح الناس العاديون متعصبين، عرض نقدي لكتاب جيرالد برونر، موقع مومنون بلا حدود، 24 مارس، 2015.

(2) يوهان غالتونغ وجاك لينش، التغطية الإعلامية للنزاعات: التوجهات الجديدة لإعلام السلام، ص15.

والمنافسات والمبادرات الفردية، وهي مصدر للطاقة والإلهام والتنوع والاختلاف والشعور بالهوية والانتماء. فالثقافة هي الرحم الحي لتنمية وتخصيب القِيَم الإنسانية الآمنة. ولكنها يمكن أن تكون على نقيض ذلك، «فالسياسة، والاقتصاد، والفن، والأدب، والفكر، والعلم، وكتابة التاريخ، والخطاب الديني والأيديولوجي، كل ذلك يمكن أن يكون داعمًا للسلم، كما قد يكون محرضًا على العنف»[1].

4- مدخل الإعلام الديني والفكري:

بالاتساق مع الفكرة الجوهرية التي تقول إن الناس يسلكون بحسب مع يعتقدون ويفكرون ويتصورون علاقتهم بالعالم والحياة والمجتمع إذ إن من اقتنع بأن الموت هو السبيل إلى الجنة وأن التفجير والانتحار هو فعل جهاد واستشهاد في سبيل الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى لا يمكن أن تخيفه القوة العسكرية مهما بلغت ضرباتها وسطوتها، بل ربما تزيده حماسة وإصرارًا على السير في هذا الطريق الشديد الوعورة والانحدار[2]، ولأمر كذلك فإن السبيل الممكن في مواجهة العنف والتطرف والإرهاب هو العمل على تغيير القناعات والأفكار بالتربية والتعليم والتنوير والتفكير، وعلى الجميع مؤسسات (الأسرة، وروضات الأطفال، مدارس، ومساجد، ورجال الدين، والدعاة والمفكرين، والإعلاميين) تقع اليوم مسؤولية العمل على تعديل وتهذيب وتنوير الاعتقادات والقناعات عند الأطفال والشباب وجميع الأفراد المغرر بهم حتى تساعدهم على تغيير سلوكهم وأفعالهم وممارساتهم؛ إذ لا توجد قوة في العالم يمكنها ردع المقتنع عن تحقيق قناعته غير فكرة مقنعة أخرى، فإما أن يكون السلام في الروضة والمدرسة ودور العبادة والأسرة والمجتمع والسياسة أو لا يكون! وكلما اتسعت

(1) قاسم المحبشي، التعليم والتنوير السبيل إلى مكافحة الإرهاب، صحيفة الشرق السعودية، 2016/5/22.

(2) جان بودريار، روح الإرهاب، ص18

فرص العيش الكريم للشباب، ضاقت فرص العنف والموت الذميم. ويستطيع الإعلام الجديد عمل الشيء الكثير في هذا الشأن بما يمتلكه من ممكنات وأدوات بالغة الفاعلية والتأثير[1].

5- مدخل الإعلام الأمني:

لا يقتصر الإعلام الأمني بوصفه كل ما تقوم به الجهات ذات العلاقة من أنشطة إعلامية ودعوية وتوعية بهدف المحافظة على أمن الفرد والجماعة، وأمن الوطن ومكتسباته في ظل المقاصد والمصالح المعتبرة. فحسب بل وفي تنمية القِيَم الإيجابية التي تأكد على حقوق الإنسان وصون حرماته وقِيَم التسامح والتصالح والتعاون والرحمٰن والحوار. ويتوقف وجود إعلام أمني فاعل وناجح على مدىٰ اهتمام الأجهزة الأمنية وقناعتها بأهمية هذا النوع من الإعلام، الذي يعتمد في تغذيته على مدىٰ تعاون الأجهزة الأمنية التي تقدم المادة العلمية والحقائق الأمنية إلى وسائل الإعلام، لتقوم هذه الوسائل بإعدادها في الشكل الإعلامي المناسب لعرضها على الجمهور بما يحقق التجاوب الجماهيري مع الأفكار الأمنية المطروحة. وعلى الرغم من القوة التي تتمتع بها وسائل الإعلام للعمل على تنمية الوعي الأمني، فإنها تبقىٰ رهينة للمصادر التي تزودها بالمعلومات والتوضيحات والبيانات[2].

وهناك عدد واسع من المداخل الإعلامية الجديرة بالقيمة والاعتبار في مكافحة الإرهاب وتقليل أخطاره.

*

(1) قاسم المحبشي، في مخاطر العنف المقدس، صحيفة الشرق السعودية، الصفحات 3، 10، 25، 2015.

(2) ويكيبيديا، الموسوعة الحرة، مفهوم الإعلام الأمني، النت، جوجل.

المصادر والمراجع

- آلفينتو فلر: حضارة الموجة الثالثة، ترجمة: عصام الشيخ قاسم، الدار الجماهيرية للنشر، ليبيا، د.ت.
- إبراهيم الحيدري: سوسيولوجيا العنف والإرهاب، دار الساقي، ط1، بيروت، 2015.
- إبراهيم غرايبة: سيكولوجية الإرهاب.. كيف تقود المعتقدات والعواطف للقسوة والكراهية، موقع مؤمنون بلا حدود للدراسات والأبحاث، 2016/7/22.
- أرنولد كريلينستن: مكافحة الإرهاب، ترجمة، أحمد التيجاني، مركز الإمارات للدراسات والبحوث، الإمارات أبو ظبي، ط1، 2011.
- إيمان عبد الرحيم السيد الشرقاوي،: جدلية العلاقة بين الإعلام الجديد والممارسات الإرهابية - دراسة تطبيقية على شبكات التواصل الاجتماعي، مقدمة إلى مؤتمر (دور الإعلام العربي في التصدي للإرهاب) المنعقد في جامعة نايف للعلوم الأمنية، 2014.
- بيير بورديو: التلفزيون وآليات التلاعب بالعقول، ترجمة: درويش الحلوجي، دار كنعان، ط1، دمشق، 2004.
- تشارلز تاونزند: الإرهاب.. مقدمة قصيرة جدًّا، ترجمة: محمد سعد طنطاوي، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، ط1، القاهرة، 2014.
- تيم دان، وآخرون: نظريات العلاقات الدولية.. التنوع والتخصص، ترجمة: ديما الخضرا، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، ط1، بيروت، 2016.
- جان بودريار: روح الإرهاب، ترجمة: بدر الدين عمر زكي، الهيئة المصرية للكتاب، ط1، القاهرة، 2010.
- جان فرانسوا ليوتار: الوضع ما بعد الحداثي، تقرير عن المعرفة، ترجمة: أحمد حسان، دار شرقيات،ط1، القاهرة 1994.
- رينيه جيرار: العنف المقدس، ترجمة: سميرة ريشا، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، 2015.
- غويندابر: فوبيا داعش وأخواتها، ترجمة:رامي طوقان، الدار العربية للعلوم، ط1، بيروت 2015.
- فهد عبد الرحمٰن الشميري: التربية الإعلامية.. كيف نتعامل مع الإعلام؟ النت، جوجل.

- قاسم المحبشي: العولمة.. مقاربات أولية للفهم، مركز الدراسات الإستراتيجية، عدن، جامعة عدن 1992.
- ـــــــــــــ: حضارة الموجة الثالثة عند توفلر، مجلة الدراسات الاجتماعية، جامعة عدن، العدد (24)، مايو 2012.
- محمد الطيب زاوي: الإعلام الإسلامي الإلكتروني المعاصر (مع دراسة وصفية لثلاثة وأربعين موقعًا إسلاميًّا على شبكة الإنترنت، رسالة ماجستير في علوم الإعلام والاتصال، إشراف: محمد لعقاب، جامعة الجزائر، كلية العلوم السياسية والإعلام، قسم علوم الإعلام والاتصال، 2004.
- ناعوم تشومسكي: الإرهاب.. حالة 11 سبتمبر 2001، ترجمة: الملتقى، مطبعة النجاح الجديدة، ط1، الدار البيضاء، 2003.
- يوسف بن أحمد الرميح: دور الإرهاب الجديد. . الإرهاب الرقمي، الرياض، الجزيرة بلاس، 2015.
- يوهان غالتونغ وجاك لينش: التغطية الإعلامية للنزاعات.. التوجهات الجديدة لإعلام السلام، ترجمة: رشيد زياني شريف، مؤسسة قرطبة وشبكة ترانساند بالاشتراك مع معهد الهوفار، ط1، 2010.

● ○ ●